الفكر الوجودي عند "فرانز فانون"
دراسة نقدية في الوجودية السوداء

د. جوزفين رزق الله فرج
مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية الآداب جامعة بورسعيد
joe.gouda13@gmail.com

doi: 10.21608/jfpsu.2023.234284.1304

الفكر الوجودي عند "فرانز فانون"
دراسة نقدية في الوجودية السوداء

مستخلص

أكد "سارتر" في كتابه " الوجودية نزعة إنسانية" على أن المبدأ الرئيس للفكر الوجودي هو "الوجود يسبق الماهية"، قاصداً أن الإنسان ليست له "ماهية" سابقة محددة سلفاً، إنما هناك أفراد يأتون إلى العالم، وهم يشكلون ماهيتهم بأنفسهم من خلال أفعالهم واختياراتهم، ولكن هذا المبدأ لم يكن ينطبق على أصحاب البشرة السوداء، فكان لون بشرتهم يحدد ماهيتهم، و ساهم التراث الإنساني سواء الديني والفلسفي والاجتماعي والأدبي في رسم تلك الماهية المسبقة، وظهر الاقتران بين اللون الأسود والكثير من الصفات السلبية كالشر والعبودية، والانحراف الجنسي، والهمجية، مما نتج عنه حالة من الازدراء والدونية لأصحاب البشرة السوداء، وكرد فعل لهذه الحالة ظهر مصطلح "الوجودية السوداء Black Existentialism "، كصورة جديدة للفكر الوجودي تتناول الأسئلة الفلسفية الخاصة بالوجود الإنساني ومشكلاته كالاغتراب والقلق والحرية والمعاناة والمسؤولية والتحرر في ضوء التجربة المعاشة للسود وسط المجتمع الأبيض. ومن خلال هذا البحث سنحاول التعرف على سمات هذا الاتجاه كما ظهر عند الفيلسوف الفرنسي صاحب البشرة السوداء "فرانز فانون"(١٩٢٥-١٩٦١).

الكلمات المفتاحية: فرانز فانون، سارتر، وجودية، وجودية سوداء، العِرق.

Existential Thought According to Frantz Fanon: A Critical Study in Black Existentialism

Dr. Josephine Rizkallah Farag
Lecturer of Modern and Contemporary Philosophy
Faculty of Arts, Port Said University

Abstract

In his book, “Existentialism is a Humanism,” **Sartre** emphasizes that the main principle of existential thought is “Existence Precedes Essence,” meaning that man does not have a predetermined prior “essence.” Rather, there are individuals who come into the world, and they form their essence themselves through their actions and choices. However, this principle dose not apply to people with black skin, as the color of their skin determines their essence. The human heritage in all its forms contributed to drawing that prior essence and many negative characteristics for black people such as evil, slavery, sexual deviance, and barbarism.

As a response to this situation, the term **“Black Existentialism**” appeared, as a new form to existential thought that addressed philosophical questions related to human existence and its problems such as alienation, anxiety, freedom, suffering, responsibility. This is in the light of the experience of the black among white society. In this paper, we will try to identify the characteristics of this trend as it appeared among the black-skinned French philosopher **Frantz Fanon** (1925-1961).

Keywords: Sartre, Existentialism, Black Existentialism, Frantz Fanon, Racism.

الفكر الوجودي عند "فرانز فانون"(*)

دراسة نقدية في الوجودية السوداء

تمهيد:

"ستشهدين ضد أبيض لصالح زنجي؟!

...إذا كان الأبيض مذنباً؟

مذنب بماذا؟

إنه قاتل!

...لكن الذي قتله ليس إلا زنجياً" (١)(**)

شهدت الولايات المتحدة الأمريكية في الخامس والعشرين من مايو عام ٢٠٢٠حادثة مقتل المواطن الأمريكي ذي البشرة السوداء "جورج فلويد"(٢)، كان

(*) فرانز فانون Frantz Omar Fanon (١٩٢٥-١٩٦١) فيلسوفً وطبيب نفسي ثوري وكاتب مارتينيكي، وُلد "فانون" عام ١٩٥٢ بجزر الأنتيل في مستعمرة المارتينيك الفرنسية آنذاك، حرص والده على تعليمه ومكنته ظروفه الاقتصادية من ذلك، فتلقى تعليمه الأوَلي في المدارس الفرنسية في مستعمرته، ثم سافر بعد ذلك لاستكمال دراسته في فرنسا، وتطوع للقتال مع القوات الفرنسية الحرة ، وأنهى دراسته في فرنسا بعد الحرب، درس الطب وعلم النفس في جامعة ليون، وتولي رئاسة تحرير صحيفة "توم_توم" التي توزع على الزنوج من الطلبة، وفي عام ١٩٥٢ كان قد أتم دراسة الطب، وأصدر كتابه الأول "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" في باريس، وفي عام ١٩٥٣ وقع ليه الاختيار ليشغل مركز رئيس دائرة الطب النفسي في مستشفى "بليدا" في الجزائر ،وهناك انضم إلى الثورة الجزائرية وكان يعمل على تقديم العون للثوار الجزائريين، تولى الاشتراك في تحرير صحيفة "المجاهد" الناطقة بلسان جبهة التحرير الجزائرية ،والتي كانت تصدر في تونس، وفي عام ١٩٥٩ أصدر كتاب "السنة الخامسة من الثورة الجزائرية" ، وفي عام ١٩٦٠أصيب بسرطان في الدم، وسافر للعلاج في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي بداية عام ١٩٦١ أصدر كتاب "المعذبون في الأرض"، وتوفي بعدها وأوصي بدفنه في الجزائر.

<<انظر: دافيد كوت: فرانز فانون، ترجمة: عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت،١٩٧١، ص١٧٤

<<Peterson, Charles. Encyclopedia Britannica,Art.: "Frantz Fanon"., https://www.britannica.com/biography/Frantz-Fanon. Accessed 29 August 2023.

(١) جان بول سارتر: المومس الفاضلة ، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة،٢٠١٣،ص ٣٢.

(**) العبارات مأخوذة من مسرحية سارتر "المومس الفاضلة" : احدي مسرحيات سارتر التي تدور حول العلاقة بين مفهومي العدالة والعنصرية ويشرح فيها سارتر طبيعة العلاقة بين البيض والسود في المجتمع الأمريكي، وتدور الرواية حول فتاة ليل تدعى «ليزي» التي تكون الشاهدة الوحيدة على واقعة تعدى رجل أبيض على فتاة ليل داخل القطار، ولكن توجه الاتهامات إلى راكب أسود البشرة، والذي يهرب في محاولة لإثبات براءته.،وتتعرض «ليزي» لضغط شديد من قبل والد الرجل الأبيض، الذي يعمل سيناتور في مجلس النواب الأمريكي، في محاولة لجعلها تشهد ضد الرجل الأسود في المحكمة، وأمام رفضها يهددها بالقبض عليها بتهمة ممارسة البغاء.

(٢) شهدت ولاية "مينيسوتا" الأمريكية في ٢٥ مايو ٢٠٢٠، جريمة قتل المواطن الأمريكي من أصول إفريقية "جورج فلويد" على يد شرطي أبيض، بدأت القصة عندما استوقف الشرطي "فلويد" لاشتباه باستخدامه ورقة مالية مزورة بقيمة عشرين دولارا لشراء علبة سجائر. وبقي الشرطي راكعاً على عنق جورج فلويد الممدد أرضا على بطنه مكبل اليدين، على مدى نحو تسع دقائق طويلة لم يأبه خلالها لتوسل الأربعيني الأسود ونداءاته المتكررة، إذ كان

مشـهد الشـرطي الأبـيض الـذي يضـع ركبتـه علـى عنـق "فلويـد" وهـو يتوسـل إليـه ليتركـه يتـنفس قـد أثـار انزعـاج العـالم كلـه. ولا سـيما أن هـذا المشـهد يحـدث فـي دولـة استندت فلسفيًا على مُثُل التنوير الخاصة بالحرية والمساواة. (١)

لـم تكـن هـذه الحادثـة الأولـي(*) -وليسـت الأخيـرة-(**)، ولكنهـا أيقظـت فـي الفكـر مـا كتبـه "جـان بـول سـارتر" فـي مقدمـة كتـاب" معـذبو الأرض" "لفـانون" حـين ردد دعـوة "فانون"قـائلاً: **"فلنتـرك هـذه "الأوروبـا" التـي لا تفـرغ مـن الكـلام عـن الإنسـان وهـي تقتلـه جماعـات حيثمـا تجـده، فـي جميـع نواصـي شـوارعها، وفـي جميـع أركـان العـالم"**(٢)، وكأنـه آنـذاك كـان يقـدم لنـا صـورة حيـة لحالـة التمييـز العنصـري Racial discrimination (***)، وعـدم المسـاواة التـي يشـعر بهـا

يكافح لالتقاط أنفاسه، وواصل الشرطي الضغط على "فلويد" حتى دخل في غيبوبة، وسط هلع عدد من المارة في الشارع، حيث جرت عملية التوقيف.وتحولت كلمات "فلويد "الأخيرة "لا يمكنني التنفس" إلى شعار ردده ملايين المتظاهرين في الشوارع، واشتعلت حركة الاحتجاج ضد العنصرية، و لم يقتصر الأمر على الولايات المتحدة، بل عمت العالم بأسره، للمطالبة بإحقاق العدالة،حتي قدم الشرطي إلي المحاكمة ،وحكم عليه بالسجن لمدة ٢٢ عاماً.

<< هيثم تميم –شبكة سكاي نيوز عربية_ ٨ مارس ٢٠٢١ >>

https://www.skynewsarabia.com/world/1447108/

(1)Moore, E. R.: Being Black: Existentialism in the Work of Richard Wright, Ralph Ellison, and James Baldwin. The University of Texas at Austin, 2001, P: xi.

(*) يمتلئ التاريخ بالعديد من الحوادث المشابهة: نذكر منها علي سبيل المثال: حادث مقتل "انتوني كراوفورد Anthony Crawford "(1865-1916)، وهو رجل أمريكي من أصل أفريقي صاحب بشرة سمراء، وكان من الأثرياء، إذ كان يمتلك مصنعاً، وكانت ممتلكاته تقدر قيمتها بحوالي ٢٠ الف دولاراً أمريكياً، وقد تعرض للقتل في وضح النهار على يد مجموعة من الرجال كانت تسمي هذه المجموعات "مجموعات الإعدام خارج نطاق القانون lynching" ،والذين اتخذوا شعار لأنفسهم هو "كراهية الزنجي الناجح hatred of the successful Negro"مبررين ذلك الأمر بقولهم " يجب أن يخضع الأسود للأبيض وإلا سوف يدمر الأبيض"، مما أثار الرأي العام أيضا في الولايات المتحدة آنذاك، وبالرغم من تقديم بعض من المجرمين للمحاكمة، إلا أن هيئة المحلفين الكبرى فشلت في العثور على شهود ولم تستطع إثبات التهمة وتم إطلاق سراحهم .

<<Cp. Mayers, R.: God's Dealings with the Negro, The Gorham press,Boston,U.S.A,1919,P:8>>

(**) تزامنت كتابه هذا البحث مع قضية مشابهة في فرنسا، حيث انطلقت التظاهرات وأعمال الشغب نتيجة لمقتل الطفل جزائري الجنسية الذي قتل برصاص ضابط شرطة، وأصيب الفتى "نائل" برصاصة قاتلة في الصدر أطلقها شرطي من مسافة قريبة أثناء عملية تفتيش مروري في "نانتير" غرب باريس، وتم توقيف الشرطي ووجهت إليه تهمة القتل العمد.

<<اليوم السابع : ١يوليو ٢٠٢٣.. https://www.youm7.com/story/2023/7/1 >>

(٢) جان بول سارتر: مقدمة كتاب "معذبو الأرض" لفرانز فانون ترجمة: سامي الدروبي، مدارات للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية،القاهرة،٢٠١٥،ص٢٠.

(***) يُقصد بمصطلح التميز العنصري وفقاً لما جاء في اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأنسان:" أنه أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني ويستهدف أو يستتبع

أصحاب البشرة السوداء، ويدق ناقوساً يدعو من خلاله لمحاول البحث عن ماهية هؤلاء الأفراد.

لقد كان المبدأ الرئيس للفكر الوجودي هو الفكرة القائلة بأن "الوجود يسبق الماهيةessence preceding existence "، وقد جاءت هذه الفكرة لتؤكد التعارض بين الوجودية وبين الفلسفات الماهوية " Essentialist Philosophy"؛ إذ ترى الوجودية أن الإنسان ليست له "ماهية" سابقة محددة سلفاً، فلا وجود لفكرة الإنسان بوجه عام أو الجنس الإنساني بالمعني التجريدي، إنما هناك فقط "أناس" أفراد يوجدون في زمن معين وموقع معين ،يأتون إلي العالم دون أن يحملوا أية ماهية(١)؛ فماهية الوجود الإنساني هي ما هو عليه بالفعل، والوجود الإنساني أكثر من مجرد مجموع لأفكار أو صفات واقعة أمام أعيننا(٢)، وقد أكد سارتر على المعني نفسه في كتابه: "الوجودية نزعة إنسانية" إذ يرى أن الإنسان يوجد أولاً ثم يتعرف على نفسه من خلال احتكاكه بالعالم الخارجي، أي أن الإنسان يوجد ثم يريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكونه بعد القفزة التي يقفزها إلي الوجود، فالإنسان ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه(٣).

وهنا تظهر المشكلة، فهذا الأمر لم يكن لينطبق على أصحاب البشرة السوداء سواء في أوروبا، و في الولايات المتحدة، أو حتى في أوطانهم التي كانت تخضع للاستعمار، بل كان لون بشرتهم هو الذي يحدد ماهيتهم(*). تلك

تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها، علي قدم المساواة، في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي ميدان آخر من ميادين الحياة العامة.

اليوم العالمي للقضاء على التميز العنصري https://www.un.org/ar/observances/end-racism-day << الصفحة الرئيسية للأم المتحدة، تم الدخول على الموقع ٥ أكتوبر ٢٠٢٣ –>>

(١) هنترميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة :فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة ،الطبعة الثالثة،القاهرة،١٩٥٩،ص٤٠٩.

(2) Mick, C.: "Existential Therapies", GBR, 2003s, London, age publication, P: 18.

(٣) جان بول سارتر : الوجودية مذهب إنساني ، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٤.

(*)يمكن لنا أن نرى هذا المعني بوضوح في الخطاب الشهير الذي القاه "مارتن لوثر كينج الصغير "الذي ولد في ١٥ يناير عام ١٩٢٩، و أُغتيل في ٤ أبريل ١٩٦٨، كان زعيمًا أمريكيًّا من أصول إفريقية، وناشطًا سياسيًّا إنسانيًّا، من المطالبين بإنهاء التمييز العنصري ضد السّود في عام ١٩٦٤ م، حصل على جائزة نوبل للسلام، وكان أصغر من حاز عليها. اعتبر مارتن لوثر كينج من أهم الشخصيات التي ناضلت

الحالـة مـن القمـع و الازدراء لأصـحاب البشـرة السـوداء خلقـت نوعـاً مـن التحـدي لـدي هـذه الفئـة، ونـتج عنهـا خـروج تيـار جديـد مـن الفلاسـفة حـاولوا التعبيـر عـن معانـاتهم وتطلعـاتهم، ومـنهم علـى سـبيل المثـال: "ريتشـارد رايـت(١٩٠٨-١٩٦٩)، "رالـف إليسـون"(١٩١٣-١٩٩٤)،"إيمـي سـيزير(١٩١٣—٢٠٠٨) ، "فرانـز فـانون"(١٩٢٥-١٩٦١)، "سـتيف بيكـو(١٩٤٦- ١٩٧٧)" (*)، وبـدأ يظهـر لنـا

فـي سـبيل الحريـة وحقـوق الإنسـان. أسـس لـوثر زعامـة المسيحية الجنوبيـة، وهـي حركـة هـدفت إلـى الحصـول علـى الحقـوق المدنيـة للأفارقـة الأمـريكيين فـي المسـاواة، وراح ضـحية قضـيته. رفـض كيـنج العنـف بكـل أنواعـه، وكـان خيـر مثـال لرفاقـه وللكثيـرين ممـن تورطـوا فـي صـراع السـود مـن خـلال صـبره، ولطفـه، وحكمتـه، وتحفظـه حتـى أن القـادة السـود الحـربيين لـم يؤيـده ، وبـدأوا يتحدّونـه عـام ١٩٦٥م. . إذ قـال : "لـدي حلـم فـي أن أطفـالي الأربعـة الصـغار سيعيشـون يومًـا مـا فـي أمـة لـن يـتم الحكـم علـيهم فيهـا مـن خـلال لـون بشرتهم بل بمحتوى شخصيتهم."

"I have a dream that my four little children will one day live in a nation where they will not be judged by the color of their skin but by the content of their character"

<<Cp. Duffy, B. K., & Besel, R. D.:Martin Luther King Jr.'s “I Have a Dream” and the politics of cultural memory: An apostil. ANQ: A Quarterly Journal of Short Articles, Notes, and Reviews, 23(3), 2010, P: 184-191.>>

(*)"ريتشارد رايت Richard Wright (١٩٠٨-١٩٦٩): شاعر وروائي أمريكي أسود اشتهر برواياته التـي تجسد واقع حياة السود في المجتمع الأمريكي، من أشهر رواياته: «غلام أسود Black Boy »،«ابن البلد Native son»، «أبناء العم توم»، كانت كل روايـة مـن هـذه الروايـات تنـاقش صـورة الأحـوال التـي يعـيش فيهـا السـود فـي المجتمـع الأمريكي، علي سبيل المثال روايتـه الأولـى "غـلام أسـود " كانـت بمثابـة سيرة ذاتيـة لحياتـه ركـز فيـه علـى أمـرين أساسيين :الأول : صور الذل والإهانة الشديدة التي يتعرض لها السود في أمريكا والتـي أقـل وصـف لهـا أنهـا لا تلائـم الكرامة الإنسانية ،والتي تضع الأسود أمام خيارين لا ثالث لهما إما الخنوع والرضـا بحيـاة العبيـد ، ويـدفعهم الخـوف المُنكر المُتَّصل إلى ضروب من الجُبن وهوان النفس ودناءة السيرة لا تكاد تَخْطُر لأحدٍ مِنَّـا علـى بـال، والثـاني: حـين يتمرد أحـدهم علـي تلـك الحيـاة ، ويـرفض ذلـك النظـام فيجـد المقاومـة والإنكـار مـن أبنـاء جنسـه انفسـهم ،فينكرونـه ويُقاومونه، كما ينكره البيض ويقاومونه.

أما الأمر الثـاني الـذي يظهـر فـي الروايـة: فهـو تلـك الغفلـة التـي يعـيش فيهـا العـالم المتحضـر فـي الشـرق والغرب، والوجه القبيح لهذه الدولة التي تُريد أن تَسُود العالم، فهي الآن نموذج الحضارة، مثالًا للرقي، وهـي مـع ذلـك ترى ملايين من النَّاسِ يُسامون أشنع ما يُسام الناس من ضروب الذُّلِّ والخسف والعسف والهوان. وهـذه الأحـوال التـي صورتها الرواية كانت أحد الدعائم الأساسية في ظهور التيارات الفكرية المناهضة للعنصرية.

<< طه حسين: ألوان، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، المملكة المتحدة،٢٠١٣، ص ٢٥٦>>

"رالف إليسون"(١٩١٣-١٩٩٤): كاتب وروائي أمريكي من أصول أفريقية، وجاءت شهرته من بعد نشر روايته "Invisible Man" الرجل اللامرئي عـام(١٩٥٢) ،وفـي العـام التـالي لنشـر الروايـة فـائزت بجـائزة الكتـاب الوطني ، وتعرض الرواية لقضايا اجتماعية وفكرية واجهت المجتمع الأمريكي الأسود في أوائل القرن العشرين ،من خلال حياة بطل الرواية الشاب الأسود المجهول الذي ينتقل إلى الولايات المتحدة في القرن العشرين، ولا يمكنـه البقـاء إلا من خلال التظاهر، لأن الأشخاص الذين يقابلهم "لا يرون سوى محيطي، أو أنفسهم، أو صـور مـن خيـالهم"، فهـو غير مرئي فعليًا. الميزة الخاصة للرواية هي مزيجها الماهر من البحث الوجودي في الهوية بحد ذاتهـا - مـا يعنيـه أن تكون غير مرئي اجتماعيًا أو عنصريًا - مـع اسـتعارة اجتماعيـة سياسـية أكثـر لتـاريخ تجربـة الأمـريكيين مـن أصـل أفريقي في أمريكا.

<< انظـر: رالـف إليسـون: الرجـل اللامرئـي، ترجمـة: أسـامة منزلجـي، دار المـدى، الطبعـة الأولى،بيروت،٢٠٢١،ص٧،١١

علــى مســرح الفكــر مصــطلح جديــد وهــو "الوجوديــة الســوداء Black Existentialism".

ونحــن مــن خــلال هــذه الدراســة نحــاول الكشــف عــن هــذا المفهــوم الجديــد، والتعرف على أهم ملامح هذا التيار الجديد، وأهم الأفكار التي ينادي بها.

"Ralph Ellison". Encyclopedia Britannica, 16 Jun. 2023,https://www.britannica.com/biography/Ralph-Ellison. Accessed 30 September 2023>>

"إيمي سيزير(١٩١٣ـــ٢٠٠٨): شاعر وسياسي مارتينيكي، ينحدر من عائلة متواضعة، إذ عَمِل والده في قطاع الخدمة المدنية وامتهنت والدته الخياطة، وكان جدّه مُدرّساً فيما أجادت جدته القراءة والكتابة، الأمر الذي مكّن أغلب أحفادها من تحصيل التعليم والالتحاق بالمدارس. بعد حصوله على الشهادة الثانوية، التحق سيزير بمدرسة "لويس لوغران"، كان الأسود الوحيد في المدرسة بين طلبة كثيرون من البيض، من أبناء نخبة البورجوازية الفرنسية، وقد تعرض لحادث ظل عالقاً في ذاكرته لسنوات طوال؛ فعندما كان يريد أن يقطع الشارع بشكل متسرع ، صرخ به أحدهم من داخل سيارته: زنجي حقير! ، لتقى بعد ذلك " بليوبولد سيدار سنغور"، ثم ارتقى للدراسة في المدرسة العليا للمعلمين بفرنسا، حيث نال إجازة في الآداب. في عام ١٩٣٤، وأسّس مع أصدقاء ربطته بهم مشاغل فكرية وعرقية صحيفة "الطالب الأسود"، التي ظهر على صفحاتها للمرة الأولى مصطلح "الزنوجة"، قاصداً به :اعتراف المرء لحقيقية كونه أسود وقبوله لذلك ، ويعتبر إيمي سيزير من أبرع شعراء الفرنسية في القرن العشرين، وقد ترجمت أعماله إلى لغات متعددة، وكان لقصيدته الملحمية دفاتر الرجوع إلى الوطن الأصلي (١٩٣٩) أثر كبير على الشعراء وخاصة الشعراء الأفرو - أمريكيين• ففيها عبّر سيزير عن نفسية الأفارقة القاطنين خارج قارتهم وأدان وحشية العنصرية وآثارها على الصعيد الجسدي والنفسي• كما ربطت "إيمي سيزير" علاقات قوية برموز أدبية وفنية وفكرية، من فرنسا والولايات المتحدة وآسيا وأفريقيا، قدم "سارتر" لشعره مع "سنغور" بمقال "أوروفيوس الأسود" ، وكان الشخصية المؤثرة في فكر "فرانز فانون"، وكان من أشهر مؤلفاته المترجمة للعربية : "خطاب عن الاستعمار"، فصل في الكونغو".

<<Anderson, T. J., Aimé Césaire, and Richard Lanoie. "The Primal Urgency of Aimé Césaire: An Introduction and Six Poems, *Alif: Journal of Comparative Poetics* 13 (1993)."Abstract".

<< انظر: بثينة الزغلامي: إيمي سيزير.. شمس الزنوجة المتوهجة، شبكة الميدان ،٢٩ /٢٠٢٣/٠٦

https://www.almayadeen.net/arts-culture

هاشم صالح : إيميه سيزير (١٩١٣ – ٢٠٠٨): زنجيّ أنا، زنجياً سأبقى!، مجلة الأوان، ٨ ديسمبر, ٢٠١٣

https://alawan.bnt.nat.tn/2013/12/08

"ســتيف بيكــو"(١٩٤٦- ١٩٧٧):مناضــل ومفكــر جنــوب أفريقــي ضــد نظــام الفصــل العنصري(الأبارتهيد)،وهو أيضاً اشتراكي أفريقي يدعو للوحدة الأفريقية ،كان بيكو عضواً فعالاً في عدة جماعات مناهضة للفصل العنصري كمنظمة طلاب جنوب أفريقيا ،وعضو نشط في حركة الوعي الأسود ،رئيساً شرفياً لمؤتمر الشعب الأسود، تم اعتقاله عدة مرات، وتعرض للتعذيب الوحشي مما أفضى إلى مصرعه على يد قوات الفصل العنصري، وعمره لم يناهز ثلاثون عاماً ،وبعد وفاته لقب "بشهيد الأمل Martyr of Hope" .

<< انظر: مجدي رامي: لأن الملاك أبيض، موروثات الاستعمار كمعوق للتنمية عند ستيف بيكو، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، اكتوبر٢٠١٨، ص٢٢>>

إشكالية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الإجابة عن التساؤل المحوري الخاص بما يمكن تسميته "بأنطولوجيا لون البشرة the ontology of skin color"(*)، إذ تهدف هذه الدراسة إلى كشف طبيعة العلاقة بين الوجود والماهية لدى الفلاسفة أصحاب البشرة السوداء؟، وكيف كان لون بشرتهم عاملاً في تحديد ماهيتهم، وكيف يتعارض ذلك مع طبيعة الفكر الوجودي، وما رؤيتهم للتخلص من هذه العقبة؟ وما طبيعة محاولاتهم في إثبات وجودهم؟

ووصولاً إلى هذا الهدف نحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- السؤال الأول: ما المقصود بالوجودية السوداء وما أهم سماتها؟
- السؤال الثاني: كيف كان التراث الإنساني سبباً في صراع الوجود والماهية؟
- السؤال الثالث : ما طبيعة المحاولات التي قدمه فانون لاسترداد الوجود الأسود؟

الدراسات السابقة:

يمكننا القول بأن هناك ندرة في مجال الدراسات العربية التي تدور حول مصطلح "الوجودية السوداء"، ولكن قبل استعراض الدارسات السابقة في هذا المجال، لابد أن نفرق بين مصطلحين أساسيين وجدنا أن معظم الدراسات، لا سيما الأجنبية تُحدث اقتراناً بينهما وهما: "الفلسفة الأفريقية": والتي تشير إلي الفلسفة الخاصة بالقارة الأفريقية من ناحية العِرْق، والجنس، واللون، والموطن. أما المفهوم الثاني هو: "الفلسفة السوداء" والتي تدور في الأساس حول أفكار الفلاسفة والأدباء وحتي رجال السياسة الذين عاشوا في الدول الغربية سواء في أوروبا أو

(*)هذا المصطلح وَرَدَ عند "كاثرين كول " في دراستها عما يعرف باسم "المسرح الأسود" في مقالها الموسوم بعنوان "متى يكون المسرح الأفريقي" أسود "؟، وتتحدث فيه "كاثرين" عن رحلتها إلى غانا من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٥، و تثير بعض الأسئلة الحاسمة حول ما أطلقت عليه الطبيعة المتعالية لـ "السواد"، فمحاولاتها كانت تتركز على مناقشة فكرة الأسود مقابل الأبيض بشكل عام، وليس السواد باعتباره أمراً خاص بأفريقيا.

<<Cp. Cole, Catherine M. "When Is African Theater ‘Black’? " Black cultural traffic: Crossroads in global performance and popular culture (2005): 43-58.>>

فـي الولايـات المتحـدة، وكـان الشـكل واللـون عـاملاً فـي تحديـد مـاهيتهم، أي أن اللـون كـان عـاملاً مـؤثراً فـي مشـروع وجـودهم ونظـرة الآخـرين لهـم ، أو بعبـارة أخـرى يمكـن القـول إنهـا الدراسـات التـي تركـز علـى مقولـة اكبـر هـي "مقولـة العـرق" كجـزء مـن التجربـة الإنسـانية(١)، هـذا مـا يجعـل مقولـة "الأسـود" أوسـع نطاقـاً مـن مقولـة الفلسـفة الأفريقية (*)(٢)

وبنـاء علـى هـذا التمييـز وجـدنا أن مـن أهـم الدراسـات –علـى سـبيل المثـال– التي تطرقت لهذه الفكرة في المكتبة العربية وفقا للترتيب الزمني ما يلي:

١. **مجلـة أوراق فلسـفية** فـي عـدد خـاص صـادر عـن كرسـي اليونسـكو للفلسـفة فـرع جامعـة الزقـازيق، خصصـت العـدد لمجموعـة مـن الدراسـات حـول الفلسـفة الأفريقيـة بشـكل عـام ركـزت فيهـا علـى التعريـف بالفلسـفة الأفريقيـة وتاريخهـا، ولكنهـا فـي هـذا العـدد ركـزت علـى الفلسـفة الأفريقيـة فـي موطنهـا الأصـلي إفريقيـا الأم، كمـا إننـا نجـد أن هـذا العـدد بـالرغم مـن ثرائـه إلا أنـه عبـارة عـن ترجمـات منتقـاة لمجموعـة مـن الموضـوعات الخاصـة والمتعلقـة بالفلسفة الأفريقية. (٣)
٢. **أحمـد عبـد الحلـيم عطيـة:** فـي دراسـته الموسـومة باسـم " هيجـل والفلسـفة الأفريقيـة " حـاول فـي هـذه الدراسـة إظهـار نظـرة هيجـل العنصـرية للقـارة الأفريقيـة. ورفـض الفلاسـفة الأفارقـة آراء هيجـل عـن القـارة الأفريقيـة وعـن الزنـوج، وكيـف كـان لهـذه الآراء دور فـي ترسـيخ الفكـر العنصـري والعرقـي

---

(1)Peterson, C. F.: Introductions and Histories: How, When, and Where of Race in Philosophy. *Philosophy Compass*, *11*(2), 2016, P:75.

(*) تعتبر مقولة "الأسود" أعم وأشمل من "الأفريقي" حيث يدخل في عدادها السكان الأصليون الأستراليون، أو الشعوب الأولى، وأيضاً مجموعة متنوعة من مجتمعات جنوب شرق الهند، وهذا ما سنراه متمثلاً في شخصية "فرانز فانون" حيث إنه ينتمي إلى جزر الهند الغربية (جزر الأنتيل)، كما أن مقولة الأفريقي" يدخل في عدادها سكان شمال أفريقيا وجنوبها، وهذه المناطق بطبيعتها الجغرافية والمناخية سكانها ليسوا بسود، ولذلك تم تفضيل "مقولة الأسود" للتعبير عن مضمون الفكرة أكثر من الأفريقي.

<Cp.Gordon، L.R.: Africana insight. The Philosophers' Magazine, (47) ,2009, Abstact, 47-51>>

(2) Gordon, L. R.: Existence in Black: An Anthology of Black Existential Philosophy. New York, NY: Routledge,1997,P:3.

(٣)هيئة التحرير. "الفلسفة الإفريقية بالعربية.، مجلة أوراق فلسفيةع٧٧,٧٨) ٢٠٢١:

في الفكر الغربي[١].

٣. **محمد ذكي همام:** في دراسته بعنوان: "فلسفة الأخلاق الأفريقية": ويركز في هذه الدراسة على الجانب الأخلاقي لدى الفلاسفة الأفارقة العائدين إلى موطنهم الأم _أفريقيا_ في عشرينيات القرن الماضي، كما أوضح أهم المبادئ الأخلاقية للحياة الأفريقية.[٢]

٤. غيضان السيد على: في دراسة بعنوان "الفلسفة الأفريقية كنقيض للفكر الكولونيالي: ويوضح فيها عنصرية الفلسفة الغربية ضد القارة الأفريقية، ويتتبع فيها دور المفكرين والفلاسفة الأفارقة في محاولة إثبات أصالة الفلسفة الأفريقية ضاربا أمثلة بالفلسفة الواقعية النقدية عند "كوامي نكروما"(١٩٠٩-١٩٧٢)، الفلسفة العرقية عند "كواسي ويريدو"(١٩٣١-٢٠٢٢). [٣]

ومن الملاحظ أن هذه الدراسات قد ركزت على جانبين أساسيين:

الأول: إنها اهتمت بالفكر الأفريقي داخل القارة الأفريقية نفسها، وانعكاسات ذلك على الجانب السياسي والاجتماعي.

الثاني: إنها ركزت على الجانب الأخلاقي وسمات الفلسفة الأخلاقية أيضاً داخل القارة الأفريقية.

أما الدراسات الأجنبية فوجدنا أنها كانت أكثر ثراءً في هذا المجال، وتعددت فيها الرؤي حول هذا الموضوع، فمنهم من تناول الفكرة على الصعيد الأدبي، ومنهم من اهتم بالجانب السياسي، ومن أبرز الدراسات التي اقتربت من موضوع هذه الدراسة نذكر على سبيل المثال:

١. دراسة اليزابث مور(٢٠٠١): "كونك أسود " : الوجودية في كتابات

---

(١)أحمد عبدالحليم عطية: "هيجل والفلسفة الأفريقية."، مجلة : أوراق فلسفيةع٩٣,٩٤ (٢٠٢٢): ٢٨٥ -٢٩.

(٢)محمد حامد ذكي همام: فلسفة الأخلاق الأفريقية، مجلة كلية الآداب، جامعة الوادي الجديد، المجلد ٨، عدد أبريل ٢٠٢٢، ص٢٢٥-٢٥٦.

https://mkwn.journals.ekb.eg/article_231035.html

(٣)غيضان السيد على: الفلسفة الأفريقية كنقيض للفكر الكولونيالي، مجلة الاستغراب، ع:٣٠،ربيع ٢٠٢٣،ص٥٥-٨١.

"ريتشارد رايت" ،"رالف ايلفسون"،و"جيميس بلدويني": وتهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف المظاهر المميزة للفكر الوجودي في كتابات الروائيين السود أمثال "ريتشارد رايت" ، "ورالف إليسون" ، و"جيمس بالدوين"، وكيف تأثروا بشكل عميق بالمفكرين الوجوديين الأوروبيين.[١]

٢. دراسة "باسي مانجوس"(٢٠٠٧): "ما النظرية النقدية الأفريقية؟ أو الفلسفة الوجودية السوداء؟ ويظهر في هذه الدراسة محاولة الاقتران بين الوجودية السوداء والنظرية النقدية الأفريقية، باعتبارها تمثل الاتجاه الفلسفي الذي ينتقد الهيمنة والاستعمار بشكل عام، ويؤكد على فكرة تمكين السود في العالم، ومحاولة تحرير السود من الاضطهاد في أفريقيا، أو في أي مكان في العالم. [٢]

٣. دراسة "جيميس هيل(٢٠١٤): "الفلسفة الوجودية السوداء": وفيها تتم التركيز على تجربة "كونك أسود" ومدي ارتباطها بمفاهيم الفلسفة الوجودية التقليدية كالذاتية، والحرية، والقلق والخوف، واليأس، والعبث، وما إذا كانت هذه المفاهيم نفسها تتغير عند تطبيقها على الوجود الأسود، وهل هناك مقولات خاصة بالوجودية السوداء نفسها؟ [3]

٤. دراسة "فيرين لين وود" وأخرون(٢٠١٧): " الوجودية السوداء خطاب حول الوجود والمعنى" وفيه يحاول المؤلفون استكشاف مفاهيم الوجودية السوداء، وتقديمها كبديل فلسفي للوجودية الأوروبية خاصة في معالجة الموضوعات الخاصة بالعرق وعدم المساواة. [4]

---

(1)Moore, E. R. (2001). Being Black: Existentialism in the Work of Richard Wright, Ralph Ellison, and James Baldwin. The University of Texas at Austin,2001.
(2)Bassey, M. O.: What is Africana critical theory or black existential philosophy? Journal of Black Studies, 37(6), (2007). 914-935.
(3)Haile III, J. B.: Black existential philosophy: Truth in virtue of self-discovery (Doctoral dissertation, Duquesne University, 2014.
(4)Vereen, Linwood G., et al. "Black existentialism: Extending the discourse on meaning and existence." The Journal of Humanistic Counseling 56.1 (2017): 72-84.

أمـا الدراسـة التـي نحـن بصـددها الآن فهـي تركـز علـى فكـرة الصـراع بـين الوجـود والماهيـة كمبـدأ وجـودي فـرض نفسـه علـى أصـحاب البشـرة السـوداء، وكيـف ظهـرت جوانـب هـذا الصـراع فـي مؤلفـاتهم، ومؤلفـات "فرانـز فـانون" نموذجـاً، ومحاولاتهم لاسترداد هذا الوجود.

منهج الدراسة

قامـت الباحثـة باسـتخدام أكثـر مـن مـنهج أثنـاء الدراسـة، فقـد اسـتخدمت المـنهج التـاريخي فـي تتبـع تطـور المفهـوم الفلسـفي،كما اسـتخدمت المـنهج التحليلـي النقـدي فـي قـراءة وتحليـل المصـادر الخاصـة "بفـانون"، هـذا بالإضـافة إلـى المـنهج المقـارن فـي مقارنـة آراء الفلاسـفة السـود مـع فلاسـفة الوجوديـة الأوربيـين بشـكل عـام، و"سارتر" شكل خاص.

- **أولاً: الوجودية السوداء (الماهية والسمات):**

"أن تطالب بالمصير الإنساني وأن تنكره في أن واحد فذلك تناقض انفجاري، تعلمون هذا مثلما أعلمه، إننا نعيش في زمن الانفجار"(١).

"إنكم تشوهوننا؛ فالمذهب الإنساني الذي تأخذون به والذي يدعي أننا وسائر البشر سواء، ولكن أعمالكم تفرق بيننا وبين غيرنا."(*)(٢)

هكذا بدأ "سارتر" يُشَخص الوضع في فرنسا وأوروبا كلها، وكيف تعالت فيها النزعات العنصرية في معارضةُ صارخة لما تعتنقه من مبادئ وما ترفعه من شعارات، وفي المقابل بدأت فرنسا تشهد ميلاد تيار جديد يحاول التصدي لهذه النزعات، تيار صادر من قلب الذين عاشوا هذه التجربة وشعروا بها؛ فحين كانت تتردد في مسامعهم شعارات: الحرية، والمساواة، والأخوة، والوطن، والمحبة، والشرف، كان هناك من يُعبر عن العصبية والعرقية بعبارة "إنه زنجي قذر".(٣)، وأسفرت هذه الأحوال عن ميلاد حركة فلسفية جديدة أُطلق عليها اسم "الوجودية السوداء Black Existentialism " كصورة جديدة للوجودية بمبادئها الإنسانية، ولكنها هذه المرة نابعة من تجربة حية معيشة هي تجربة "كونك أسود Being black " لتبدأ رحلة البحث عن الهوية السوداء في عالم مضاد للسود.(٤)

كان "فرانز فانون" هو أول من أسس لهذا المفهوم في كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" من خلال تخصيصه لفصل كامل في هذا الكتاب يتحدث فيه عما أسماه "حقيقة السواد The Fact of Blackness "(**)، وكان يحاول فيه أن

---

(١) جان بول سارتر: مقدمة معذبو الأرض، لفرانز فانون، ترجمة: سامي الدروبي، ص٢٩

(*) يستشهد سارتر بآراء فانون في كتابه ويقول:" إن فانون يذكر في كتابه جرائم المستعمر الفرنسي في صطيف بالجزائر،هانوي عاصمة فيتنام، مدغشقر ،ولكنه لا يضيع وقت في استنكارها وإنما هو يستعملها، أي يفضح أساليب التمييز والعنصرية.

< <جان بول سارتر: مقدمة كتاب معذبو الأرض "، ص ٢١ >>

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(4)Gordon, L. R.: Existence in Black: An Anthology of Black Existential Philosophy, P: 4.

(**) وجدت الباحثة اختلافاً في ترجمة عنوان الفصل الخامس في كتاب "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" لفرانز فانون، ففي النسخة الإنجليزية كان عنون الفصل "The Fact of Blackness " أما في النسخة المترجمة كان عنوان الفصل " تجربة الأسود المعيوشة "، وربما جاء الاختلاف في الترجمة رغبة من المترجم في شرح مضمون الفصل في العنوان ، في حين أن ترجمته ستكون "واقع السواد" ، ولكن المترجم فضل التعبير عن مضمون الفصل، فهو

ينظـر إلـى السـواد باعتبـاره حقيقـة أنطولوجيـة، ويناقش فيـه ملامحهـا الوجوديـة مـن خـلال السـؤال عـن الماهيـة، والعلاقـة بـالآخر، والقلـق، الاغتـراب، والحريـة وغيرهـا، كـل هـذه القضـايا كـان يناقشـها مـن منظـور رجـل أسـود تـم انتزاعـه مـن موطنـه الأصلي، وانتقاله إلى عالم آخر هو العالم الأبيض.

ولكـن بـدأ "مصـطلح الوجوديـة السـوداء" يظهـر بشـكل أكـاديمي فـي الدراسـات الفلسـفية التـي قـدمها الفيلسـوف الأمريكـي ذو الأصـول الأفريقيـة "لـويس جـوردون"(*)، حيـث أكـد علـى أن فكـرة الوجـود الأسـود قـد أحـدثت تـوترًا مركزيًـا فـي الفكـر الحـديث؛ ففـي الوقـت الـذي كـان فيـه الفكـر الحـديث مـن جانـب يحتفـي بقيمـة الحريـة، كـان الوجـه الآخـر لـه هـو بمثابـة تبريـر للاسـتعباد وتجاهـل الأفكـار حـول العبوديـة والتحـرر مـن جانـب أصـحاب البشـرة السـوداء، الأمـر الـذي أثـار تسـاؤلاً عـن العلاقـة بين الفكر الفلسفي بالحقيقة والواقع (١).

وفـي كتابـه الـذي نشره عـام ١٩٩٦ باسم " Existence in Black: An anthology of Black Existential Philosophy " يبـدأ "جـوردون" بـالتفريق بـين نـوعين مـن الوجوديـة: النـوع الأول: وهـو مـا أطلـق عليـه" الوجوديـة الشـعبية"، والتـي يراهـا مرتبطـة بـالأدب إلـى حـد كبيـر، وهـي ظـاهرة تاريخيـة أوروبيـة فـي

يحكي عن خبرة وتجربة حقيقية للكاتب في التعامل مع لونه الأسود ،وتبعات نظرة الأخر لهذا اللون وأثرها النفسي في الشخص .

<<انظر: فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١١٧

Fanon,F.: Black Skin, White Masks, Trans.by : Markmann,c.l., Pluto Press, First published, London,1986.P:109>>

(*) "لويس جورودون"(١٩٦٢-) : هو فيلسوف أمريكي في جامعة كونيتيكت يعمل في مجالات الفلسفة الأفريقية، والوجودية، والظواهر، والنظرية الاجتماعية والسياسية، وفكر ما بعد الاستعمار، ونظريات العرق والعنصرية، وفلسفات التحرر، وعلم الجمال، وفلسفة التعليم، وفلسفة الدين. . وقد كتب على نطاق واسع بشكل خاص عن الوجود الأفريقي والوجود الأسود، وظواهر ما بعد الاستعمار، والعرق والعنصرية، من أهم مؤلفاته:

Gordon, Lewis R. An Introduction to Africana Philosophy. New York: Cambridge .University Press, 2008.

___________. What Fanon Said: A Philosophical Introduction to His Life and Thought. Fordham University Press, 2015.

___________Freedom, Justice, and Decolonization. Routledge, 2020.

(1)Gordon, L. R.: Black existence in philosophy of culture. Diogens, 2012, 59(3-4), 96-105.

الأساس، أما النوع الثاني: وهو ما أسماه "فلسفة الوجود" وهو المصطلح الذي يستخدمه قاصداً به الفلسفة الوجودية، ويعرفها بأنها: "تلك التساؤلات الفلسفية المبنية على الاهتمامات الخاصة بالذات الإنسانية وما يرتبط بها من مشاعر مثل الحرية والقلق والمعاناة والمسؤولية والفاعلية على النقيض من الاتجاهات الفلسفية القائمة على نظريات المعرفة"، وتتميز الوجودية عند "جوردون" بالتركيز على ما يعرف باسم "الموقفsituation"[1]. والموقف الذي يتحدث عنه "جوردون" هنا هو الموقف الوجودي الناتج من التجارب الحية التي عاشها السود تحت تجربة الاستعمار والعبودية. الموقف الذي تقف فيه الذات الإنسانية السوداء- أو كما أطلق عليها "فانون" الروح السوداء- في مواجهة العالم لتجبره على الاعتراف بإنسانيتها وكرامتها، فكان السؤال الرئيس الذي تطرحه : "ما معني أن تكون إنساناً؟" في مواجهة التحديات التي تواجه إنسانية السود بسبب الاستعمار، والعبودية، والعنصرية التي طعنت في إنسانية العبيد السود واعتبرتهم أشياءً مملوكة لأصحابها.

وقد يثار الاعتراض على أصالة تلك التجربة وتفردها؛ فهي في النهاية تعكس صورة من صورة العنصرية التي قد يتعرض لها أي شخص نتيجة لاختلاف في الدين، أو الجنس، أو حتى الاعتقاد الفكري، ولكن الأمر هنا مختلف؛ فالعنصرية عند أصحاب البشرة السوداء كان لها صورتها الخاصة، وقد أكد "سارتر" ذاته على أصالة هذه التجربة في مقالة " أورفيس الأسود " [*]حين قال: "**يمكن لليهودي -الرجل الأبيض بين الرجال البيض -أن ينكر أنه يهودي، ويمكن أن**

---

(1)Gordon, L. R.: Existence in Black: An anthology of Black existential philosophy, P: 4.

(*)«أورفيوس الأسود Black Orpheus»: كتب سارتر هذه المقالة في عام ١٩٤٨ كمقدِّمة لكتاب «مختارات من الشعر الجديد الزنجي والملغاشي باللغة الفرنسية» للكاتب السنغالي "ليوبولد سنجور" (١٩٠٦-٢٠٠١) الذي أصبح بعد ذلك رئيس لدولة السنغال، ومعه الشاعر المارتنيكي" إيمي سيزير"، واستخدم "سارتر" اسم "أورفيس " في إشارة إلي "أورفيوس "اليوناني المنحدر من أصل إلهي؛ فأمه إلهة الشِّعر "كاليوب"، وهي المتربِّعة على عرش الشِّعر الغنائي. و أباه "أبولون"، "أوجرس Oeagrus"، وهو إله الخمر في تراقيا، وربما ربط "سارتر" بين "سنجور" و "اورفيوس اليوناني" لإعجابه الشديد بالشعر الأسود الذي يكتبه شعراء أفريقيا الذين يستخدمون لغة المستعمر بدلاً من لغتهم، في كتابة قصائدهم التي تتناول موضوع الحرية، كما يصفه بأنه يحمل بشارة جديدة للعالم كله، البشارة بإعادة اكتشاف السود .

<< انظر: احمد فؤاد الأهواني: في عالم الفلسفة، المملكة المتحدة،٢٠٢٣،ص١١،١٢.&دافيد كوت: فرانز فانون، ص٣٥-٣٧>>

يعلن نفسه رجلاً بين الرجال. ولكن لا يستطيع الزنجي أن ينكر أنه زنجي، ولا يمكنه أن يدعي أنه جزء من إنسانية مجردة عديمة اللون: إنه أسود. وهكذا يقف ظهره على جدار الأصالة: بعد أن تعرض للإهانة والاستعباد في السابق، يلتقط كلمة "زنجي" التي ألقيت عليه كحجر، يرسم نفسه منتصبًا، ويعلن بفخر نفسه رجلاً أسود، وجهاً لوجه وجه مع رجال بيض.(1)

وقد اتفق "سارتر" مع "فانون" في هذه التفرقة، وهذا ما أكده "فانون" بنفسه فكتب يقول:" **ما من فرصة تتاح لي. فأنا محدد متعين من الخارج، أنا لست عبداً للفكرة التي يكونها عني الآخرون، ولكنني عبد مظهري وظهوري**"(2) ومن هنا يتضح لنا أن السود فقط هم من تم اختزالهم وحدهم في كونهم مجرد لون، بل وأصبح هذا اللون كاللعنة التي لا يمكن التخلص منها، ليس ذلك فحسب بل أصبح اضطهاد العالم الخارجي لكل أسود أمراً مسبقاً ومحتوماً وبالغ المدي.(3)

إن خصوصية هذه التجربة تجعلنا نستنتج مجموعة من السمات التي تميزها، ومع ذلك لا يمكن أن ينكر أحد التشابه بين الوجودية الأوربية والوجودية السوداء الوليدة، ولا يمكن أن ننكر التأثير الواضح لفلاسفة الوجودية وخاصة "سارتر" في فكر "فانون"، وتأثر "فانون" الشديد بأفكار "سارتر"، الأمر الذي ظهر واضحاً في كتاباته"، كما نرى أعجاب "سارتر" الشديد بأفكار "فانون" والدليل على ذلك المقدمة التي كتبها "سارتر" بنفسه لكتاب فانون "معذبو الأرض"،وفي المقدمة وجه الدعوة للأوروبيين لقراءة هذا الرجل فيقول :" **أيها الأوروبي إنني أسرق كتاب عدو فأتخذه وسيلة لشفاء أوروبا من دائها. انتفع بهذا الكتاب**". (4)

ولذلك يمكن أن نرى بوضوح تشابهاً في سمات وأهداف الوجودية السوداء عند "فانون" بأفكار الوجودية مع مفاهيم أساسية للوجودية عند "سارتر"، ويمكن أن نحصرها في النقاط التالية:

---

(1)Sartre, J. P.: Black Orpheus; trans. by :S.W. Allen, Presence africaine,1978,P:18.

(٢) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء ، ص ١٢٤.

(٣) دافيد كوت: فرانز فانون، ص ٢٤.

(٤) جان بول سارتر: مقدمة معذبو الأرض، لفرانز فانون، ص ٢٥.

أ. **الوجودية السوداء تمثل نزعة إنسانية جديدة:**

حينما أراد "سارتر" أن يكتب عن الفكر الوجودي، كان العنوان الرئيس لكتابه هو "الوجودية نزعة إنسانية"(١)، وأكد في ذلك الكتاب على أن الإنسان ليس موضوع بحث في الوجودية إلى جانب غيره من الموضوعات، بل هو المحور الذي تدور حوله الوجودية: الإنسان في وجوده الذاتي والاجتماعي، وفي تحقيقه لهذا الوجود، ولا يطرح سؤال حول العالم أو التاريخ أو المجتمع أو الله أو حول المعرفة أو غير ذلك إلا بمقدار علاقة هذه الموضوعات بالإنسان بشكل عام؛ فالوجودية فلسفة للإنسان قبل أن تكون فلسفة "إنسانية"(٢).

أخذت أفكار "سارتر" و مبادئ الفكر الوجودي في الانتشار، وكانت فرنسا من الدول الرائدة التي نادت بأفكار الحرية والكرامة الإنسانية، وهنا تظهر المفارقة التي يتحدث عنها "سارتر"؛ ففي الوقت الذي عانت فيه أوروبا عامة من ويلات الحرب العالمية الأولي والثانية، وعانت فرنسا خصوصاً من الاحتلال الألماني، قامت فرنسا باستعمار العديد من الدول(*)، وحينما كانت تنادي فرنسا وأوروبا كلها بالمذهب الإنساني وضرورة الإعلاء من شأن الإنسان وكرامته، وترفع شعار المساواة بين أفراد البشر، كان الجنود الفرنسيون _على حد تعبير سارتر_ ينبذون هذه الفكرة؛ فهي لا تطبق هذا الفكر إلا على ما أسموه "النوع الإنساني" _في إشارة منه إلي الأوربيين والفرنسيين انفسهم _ أما الشعوب التي استعمروها فكانوا

---

(١) جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني ، ص ٧.

(٢) معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية ،،مادة "الوجودية" ، المجلد الثاني، ط١ ، معهد النماء العربي ، بيروت ١٩٨٨،،ص ١٤٥

(*) احتل الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠ واعتبروها أرضاً لا تتجزأ من الوطن الأم فرنسا في عام١٨٤٠، بالإضافة إلي احتلال تونس ١٨٨١،والمغرب١٩١٢، والنيجر ١٩٠٤ وتشاد ،وسوريا ولبنان ١٩٢٠، ودول وسط إفريقيا ،والهند الصينية (فييتنام-لاوس-كمبوديا) ومدينتين (ريو دي جانيرو «البرازيل»- الموصل «العراق») خسرت فرنسا تدريجيا أملاكها بعد نهاية لحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ إلى ١٩٨٠.

<< الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية. (٢٠٢٣، يوليو ٢٠). ويكيبيديا. تاريخ الوصول ١٠:٠٩، ٥ أكتوبر ٢٠٢٣ من
https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9&oldid=63404461<<.

ينظـرون إلـيهم نظـرة دونيـة، فلـم يكـن هـدفهم الـرئيس هـو إخضـاع هـؤلاء البشـر المسـتعبَدين فقـط، ولكـن كـان هـدفهم فـي حقيقـة الأمـر هـو كيـف يـتم تجريـد هـؤلاء البشر من إنسانيتهم؟

لقـد رأي سـارتر أن "النزعـة الإنسـانية التـي تنـادي بهـا أوروبـا تحولـت إلـى نزعـة إنسـانية عرقيـة، لأن الأوروبـي لـم يسـتطع أن يجعـل مـن نفسـه إنسـاناً إلا بخلـق عبيـد ومسـوخ، ولـم تتكشـف هـذه الخدعـة إلا حـين نظـر الأوروبيـون إلـى سـكان المسـتعمرات، وأطلقـوا علـيهم اسـم "السـكان الأصـليون" فـي إشـارة للتمييـز بيـنهم وبـين "النـوع الإنسـاني"، واليـوم يحـاول السـكان الأصـليون الكشـف عـن حقيقـتهم، فينكشـف ضـعف النزعـة الإنسـانية الأوروبيـة، وتتكشـف معهـا الحاجـة إلـي مـيلاد نزعـة إنسـانية جديدة. [١]

لـم تكـن تلـك النزعـة الإنسـانية الجديـدة هـي "حلـم "فـانون" وحـده، بـل حلـم معاصـريه مـن السـود الـذين عاشـوا فـي الظـروف نفسـها مـن أمثـال "ايمـي سـيزير"، "ريتشـارد رايـت"، إذ رأوا أن النزعـة الإنسـانية قـد تغلـل التنـاقض إليهـا، وتحولـت إلـى أداة تخـدم الطبقـات القويـة، فعلـي سـبيل المثـال: فـي الوقـت الـذي كانـت تنـادي فيـه إنسـانية القـرن التاسـع عشـر بإلغـاء فكـرة العبوديـة، دعمـت إجبـار الأفارقـة علـي تـرك أراضـيهم والعمـل بـأجر باسـم الإنسـانية ذاتهـا، لقـد تـم تشـويه النزعـات الإنسـانية، وصنف البعض على أنهم بشر كاملون، والآخر أقل إنسانية. [٢]

وكـرد فعـل لهـذه الحالـة نجـد "فـانون" يسـتهل " كتابـه " بشـرة سـوداء وأقنعـة بيضـاء" بمجموعـة مـن أبيـات الشـعر التـي يحـاول فيهـا أن يعلـن مـيلاد هـذه النزعة الإنسانية الجديدة، فكتب يقول:

---

(١) جان بول سارتر : مقدمة معذبو الأرض، لفرانز فانون ، ص٢٥، ٢٧

(2)Pithouse, R.: "'That the tool Never Possess the Man': taking Fanon's humanism seriously." Politikon 30.1 (2003): p:111.

" نحو إنسانية جديدة

فهم الناس

إخواننا الملونون

أنا أومن بك أيها الإنسان

الفهم العرقي الشائع

من اجل الفهم، من اجل المحبة"(١)(*)

كتب "فانون" هذه الأبيات لأنه استطاع أن يحدد المشكلة الأساسية التي كان يعاني منها السود، فهو يترجم شعورهم بأن "الأسود ليس إنسانا"، فمن الإنسان كان يُطلب سلوك إنسانى، أما مني_قاصداً نفسه_ فكان يُطلب سلوك اسود أو علي الأقل زنجي، كُنت أنادي العالم وكان العالم يبعدني بحماس، كانوا يطلبون مني أن أنزوي وأنطوي (٢)، هذا الشعور الذي يتحول إلي سلوك الكاره، ويوّلد لدي الزنجي الأسود إفراط عاطفي، حالة من الغضب، غضب من الإحساس بانه ضئيل وعاجز عن كل تآلف إنساني، كل هذه المشاعر تضعه في عزلة لا تُحتمل.(٣)

لقد أدرك "فانون" أنه لا يمكن للمرء أن يكون إنساناً إلا بقدر ما يرغب في فرض نفسه على إنسان آخر، لكي يجعله يعترف به، وما دام فعلياً لا يحظى باعتراف هذا الآخر، فإن هذا الآخر يظل موضوعاً لفعله، فقيمته وحقيقته الإنسانية تتوقفان على هذا الآخر، وعلى اعتراف الآخر به.(٤)

وأمام رفض الأبيض الاعتراف بإنسانية الأسود، لابد أن يحاول الأخير أن يعترض ويتمرد، ويصرخ أنا لست على شاكلة الصورة التي توارثتها

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ١٠

(*)Toward a new humanism•...Understanding among men•...Our colored brothers.... Mankind, I believe in you• .. Race prejudice.... To understand and to love .
<<Cp. Fanon,F.: Black Skin, White Masks,P:9>>

(٢) المصدر نفسه،ص١٢٣

٣ () المصدر نفسه، ص ٥٥

(٤) المصدر نفسه، ص٢٣٢

لعقود(*)، لقد اكتشف الأبيض مكاني في العالم، ولكنه لم يقدر على اكتشاف ذاتي، ويوم أن يحدث ذلك لابد أن أعترف لنفسي بحق أوحد: حق مطالبة الأخر بسلوك إنساني، وواجب واحد: واجب عدم إنكار حريتي من خلال خياراتي. (١)

إن النزعة الإنسانية الجديدة التي يسعى إليها "فانون" هي تلك النزعة التي يسعى فيها لميلاد عالم إنساني، عالم اعترافات متبادلة، عالم يزول منه الشعور بالاغتراب والعزلة، حينئذ يمكن للإنسان من أن يفهم ويحب بغض النظر عن العرق أو المكان. (**)(٢)

ب. الوجودية السوداء والمناداة بتحرير الإنسان:

" إننا لا ننزع إلى ما هو أقل من تحرير الإنسان الملون من ذاته" (***)(٣)

إذا كان "نيتشه" قد لقب بفيلسوف المطرقة، ونادى بأهمية تحطيم كل ما هو قديم ويعوق حرية الإنسان، وقدراته؛ فإن الوجودية السوداء جاءت أيضاً لتكمل المسيرة، وتنادي بتحرير الإنسان، فيعلن "فانون" أن هدفه الأساسي من كتابه "بشرة وسوداء وأقنعة بيضاء" هو "محاولة لتحرير الرجل الملون من ذاته"، وهنا نقف عند هذه العبارة لنتساءل أي حرية تريدها، ومن هو الإنسان الذي تريد تحريره؟

بالرغم من أن الوجودية السوداء ارتبطت ارتباطاً كبيراً بالفكر الاستعماري، وظهرت كرد فعل له في المقام الأول، إلا أنها لم تكن تهدف إلى

(*) سوف نخصص العنصر الثاني من البحث للحديث عن الأفكار التي توارثتها البشرية عن الأسود في مختلف مجالات التراث الإنساني.

(1)Lee, Christopher J. *Frantz Fanon: Toward a revolutionary humanism*. Ohio University Press, 2015.p: 21

وأيضاً: فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٥٥

(**) "A new humanism, which is characterized by a desalinations that makes it possible for one to discover, love and understand man regardless of race or locality,

(2)Protevi,J.: The Edinburgh Dictionary of Continental Philosophy ,Art." Fanon ", Edinburgh University Press,2005,P199.

(***) ‘the liberation of the man of colour from himself"

<<Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks,P:10>>

(٣) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء ،ص١١

الحرية بمفهومها السياسي، ولا تقصد بالإنسان هنا الإنسان الأسود، ولكنها كانت تنادي بتحرير الإنسان بوجه عام سواء كان الأسود أم الأبيض؛ فبداخل الأسود مركب من النقص مصدره شعوره بتفوق الرجل الأبيض، وهذا الشعور كان متغلغلاً بداخل الأبيض والأسود، يترجم عند الأبيض في نظرته للأسود على أنه ليس إنساناً ،وتظهر عند الأسود في تطلعه إلى الرجل الأبيض على اعتبار أنه المثال والنموذج الذي يجب أن نحتذي به. (١)

إذن فالحرية التي تنادي بها الوجودية السوداء هي حرية أنطولوجية للإنسان الأبيض والأسود على السواء، إنها تنادي بتحرير الأبيض من نظرته السابقة والماهية المقدرة سلفاً، والتي تقترن باللون الأسود، وأيضاً تحرير الأسود من نظرته لنفسه ونظرته للأبيض باعتباره مثالاً للتميز ، فالأسود الذي يريد تبيض عرقه تعساً ومقيداً مثل ذاك الذي ينادي بكره الأبيض، فكل منهما ميتافيزيقيتين هدامتين (٢)

<u>**جـ. الوجودية السوداء والدعوة للإبداع كقوة حقيقية:**</u>

" من أجل أوروبا، ومن أجل أنفسنا ومن أجل الإنسانية، يجب علينا يا رفاق، أن نلبس جلداً جديداً، أن ننشئ فكراً جديداً، وان نحاول خلق إنسان جديد "(٣)

وهذا الأمر عند فانون لن يتم من خلال تقليد النموذج الأوروبي، فذلك التقليد لن يصنع سوى مسخاً، ولن ينتج لنا سوى فكراً وجيلاً مشوهاً، ولكن إذا أرادنا أن تتقدم الإنسانية درجة، وان نحمل الإنسانية إلى مستوى مختلف عن المستوي الذي بلغته أوروبا عندئذ يجب علينا أن نبتكر وأن نكتشف.(٤)

إذا كان "فانون" قد دعا إلى نزعة إنسانية جديدة حاول فيها تحرير الإنسان من الأفكار القديمة التي تعيق تقدمه، فذلك لأن هدف نزعته الإنسانية هو إحياء القوة الكامنة داخل الإنسان على الخلق والإبداع،

(1)Protevi,J.: The Edinburgh Dictionary of Continental Philosophy ,Art." Fanon ",P199.
(٢) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء ،ص١١
(٣) فرانز فانون: معذبو الأرض ،الخاتمة ،ص١٥٢
٤ () المصدر نفسه، ص ١٥١

فالإنسانية هي مجرد طريقة يقول بها كل شخص إنه قادر" خلق ذاته من جديد" (*)(1)ولن يتحقق ذلك إلا من خلال الخروج من العباءة البيضاء الأوروبية، فالإبداع الحقيقي ليس في أن نكون مثل هؤلاء، أو أن نسير على خطواتهم، ولكن الإبداع الحقيقي في أن نصبح نحن انفسنا، فها هو يقول :"عليّ أن أتذكر في كل آن أن القفزة الحقيقية تكمن في إدخال الإبداع إلى العالم ، فأنا أبدع بلا حدود في العالم الذي أسير فيه، أنا متضامن مع الوجود على قدر ما أتخطاه(2)

لذلك ينادي فانون "فلنقرر ألا نقلد أوروبا، ولنوجه قوانا وفكرنا في اتجاه جديد، ولنحاول أن نخلق الإنسان الشامل الذي عجزت أوروبا عن تحقيق الانتصار له. (3)

د. الوجودية السوداء والتطلع نحو المستقبل:

"لا أريد أن أتغنى بالماضي على حساب حاضري ومستقبلي"(4)

يتفق "فانون" مع سارتر" في رؤيته للإنسان باعتباره "المشروع Project"(*) يمتلك حياة ذاتية، هذا المشروع يعني أنه يتطلع دوماً إلى المستقبل (5)، وهنا نجد أهمية خاصة لهذا الأمر في الوجودية السوداء، وذلك لأن الماضي كان له التأثير الأقوى ، فقرون وعقود من العبودية والاستعمار ساهمت في تقويض إمكانيتهم، وبالرغم من ذلك يري "فانون" أنه لا ينبغي أن أجعل من نفسي إنسان أي ماضٍ، لا ينبغي أن نتوقف أمام الماضي ونتغنى به على حساب

(*)Humanism is just a way of saying that everybody’s right to self-creation matters.
(1) Pithouse, R.: "That the tool never possess the man’: taking Fanon's humanism seriously, p: 129.

(2) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء،ص٢٤٤
(3) فرانز فانون : معذبو الأرض ،الخاتمة ص ١٤٩
(4) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص١١
(*) المشروع "Project":صفة للوجود الإنساني في الفكر الوجودي ،ويقصد به قدرة الإنسان علي اختيار طريقته في الوجود والفعل علي ضوء الغاية التي يحددها، فالإنسان عند سارتر هو مشروع ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع ،وبالتالي فالإنسان مسئول عما يكون عليه.أما" هيدجر" فيري أن "الآنية" في حالة مشروع يتحقق في المستقبل ،إي أن الإنسان يعيش دائماً في مستقبله ،فوجودي هو ما سيكون عليه وجودي في المستقبل .
<<انظر: مراد وهبه: المعجم الفلسفي،مادة"مشروع"،ص٥٩٧،عبد المنعم الحفني: المعجم الفلسفي،مادة"مشروع" الدار الشرقية،الطبعة الأولي،القاهرة،١٩٩٠،ص٣٢١.>>
٥ () جان بول سارتر: الوجودية نزعة إنسانية، ص ١٥

الحاضر والمستقبل.

لقد رأي "سارتر" أن الماضي يستحوذ على عقول الناس، ويؤثر فيهم، وقد يتحول إلى قيمة[١]،وهذا ما عارضه "فانون"؛ فهذه القيمة قد تكون هي العائق أمام التحرر والتقدم ،ولذلك نرى "فانون" قد رفض المحاولات التي قام بها المثقفون السود الذين حاولوا العودة إلى ديارهم، وقد تأججت قلوبهم وطاشت عقولهم إلى الاتصال بأقدم ينابيع شعبهم والتنقيب في طبقات التاريخ المتراصة عن حضارة قومية قديمة بعيدة عن براثن الاستعمار أملا في إقناع المستعمر بزيف فكرته القائلة أنه من انتشل هؤلاء السكان الأصليين من براثن الظلام، فاكتشاف تلك الحضارة القديمة وهذا العصر الساطع سيرد إليهم الاعتبار في نظر انفسهم وفي نظر الآخر[٢] [*]، ولكن بالرغم من التوازن النفسي والعاطفي الذي قد يحققه ذلك الشعور، إلا أن "فانون" أن التغني بأمجاد الماضي لن يحقق ما يرجوه من تقدم ،ولذلك كان يرى أنه لابد أن يخرج الأسود من عباءة الماضي ويتطلع إلى المستقبل، ولا يظل عبداً للماضي سواء كان ذلك ماضي العبودية التي أفقدت الأجيال السابقة إنسانيتها، أو حتى حضارة عظيمة اندثرت ولم نعد في حاجة للتغني بأمجادها. [٣]

---

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء ،ص٢٢٣

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٠

(*) من تلك المحاولات يذكر لنا "موتازو" في بحثه الموسوم "تاريخ الفلسفة الأفريقية " والذي يناقش فيه الإشكالية التي عانى منها السود في أفريقيا خصوصاً تحت مظلة الاستعمار، فيرى أن السؤال الذي فرض نفسه عليهم أمام المستعمِر الأوروبي هو "من أنت"؟ وبالطبع كانت الإجابات من المنظور الأوروبي: همجي، بدائي، أدنى من الإنسان وما إلى ذلك، وأمام هذا الموقف بدأ المفكرون الأفارقة البحث عن هوية أفريقية، من أجل البحث عن تاريخ أصيل بعيدا عن الاستعمار، فعلى سبيل المثال: "بلاسيد تيمبلز" (١٩٠٦-١٩٧٧) المبشر الأوروبي في السنغال في كتابه المثير للجدل "فلسفة البانتو" حيث سعى إلى إنشاء فلسفة أفريقية خاصة، كدليل على أن أفريقيا لها هويتها الخاصة ونظامها الفكري الخاص ، ومحاولة أخرى قام بها "جورج جايمس" في مشروعه الذي أطلق عليه "التراث المسروق" ،وفي هذا العمل طرح رؤية مؤداها أن أفريقيا تمتلك فلسفة خاصة بها، وتطرف حتى قال أن الفلسفة الغربية الأوروبية مقتبسة من أفريقيا، كل ذلك كان بهدف أن يُشعر الأوروبيون المتكبرون بأنهم مدينون إلى الأفارقة الذين استعبدوهم. وبالرغم من أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل، إلا إن ظلالها لا تزال تظهر بين الحين والآخر ونراها الآن في الدعوات التي تُدرج الحضارة المصرية القديمة تحت مظلة الفكر الأفريقي وهذا الأمر بعيد كل البعد عن الصحة.

<< انظر: ليوباترا موتازو: "تاريخ الفلسفة الأفريقية". مجلة أوراق فلسفيةع:٨٧،٧٧، ٢٠٢١،ص٨،٧>>

(٣) المصدر نفسه ،ص٢٢٣

ولذلك نجد "فانون" يستشهد في خاتمة كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء " بعبارة "لكارل ماركس" تؤكد ذلك المعني نفسه حين يقول: "لا يمكن للثورة الاجتماعية أن تستمد شاعريتها من الماضي بل فقط من المستقبل، فهي لا تستطيع أن تبدأ مع ذاتها قبل أن تتجرد من كل الشعوذات المتعلقة بالماضي.... وعلى ثورات القرن التاسع عشر لكي تبلغ مضمونها الخاص بها أن تترك الأموات يدفنون مواتهم" (*) (**)

وإذا تحررنا من الماضي فوجب علينا أيضا أن نتجاوز الحاضر؛ فالحرية الحقيقية ستبدأ من رفض اعتبار الوضع الراهن والحاضر وكأنه نهائي (١) فكل مسألة إنسانية يتوجب أن تؤخذ لافي الاعتبار انطلاقاً من الزمن، والمثال الدائم في ذلك هو أن نستخدم الحاضر في بناء المستقبل، فالمستقبل ينبغي أن يكون بناء متواصلاً يقوم به الإنسان الموجود، وهذا البناء في الوقت نفسه يرتبط بالحاضر الذي يجب تجاوزه وتخطيه. (٢)

(*)"The revolution of the nineteenth century must let the dead bury their dead in order to arrive at its own content".

<<Cp.: MARX, K.: The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte. Trans.by: Samuel Moore, Bradford& DicKens, London, W.C.I, Third Edition,1943 , p: 27.

(**) "عبارة دع الموتى يدفنون موتاهم " (لوقا٩:٦٠) هذه العبارة في الأصل هي أية من الكتاب المقدس قالها السيد المسيح لأحد التلاميذ حين سأله قائلاً :" يا سيد اتبعك ولكن اسمح لي أن أمضي وأدفن أبي، فقال له المسيح دع الموتى يدفنون موتاهم، أي أنك إذا أردت أن تتبع المسيح حقيقية فلابد أن تقطع علاقتك بالماضي، وأن تنظر إلى المستقبل، وأكمل بعد ذلك قائلاً : "الذي يضع يده علي المحراث، لا ينظر إلي الوراء"، وهو المعني ذاته الذي يشير إليه" فانون"، فإذا أردت أن تتقدم اترك الماضي وكل ما فيه من أحزان وأمجاد، ابدأ الأن في بناء المستقبل.(الباحثة)

(1)MARX, K.: The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte, p: 27.

& فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء ،ص٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ،ص١٥،١٦

● **ثانياً: أنطولوجيا (البشرة السوداء –لون البشرة) في التراث الإنساني:**

في كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" كتب "فرانز فانون" يقول:

" **لقد فرضت الحضارة البيضاء والثقافة الأوربية انحرافاً وجودياً على الزنجي**"[*][١]

إذ يرى "فانون" أن الشعور الذي يعانيه أصحاب البشرة السوداء من شعور بالدونية والانحطاط في مقابل شعور الرجل الأبيض بالتميز جاء نتيجة لعصور من عدم الفهم وعدم التفاهم، فهو يقول: "**أنا ارغب حقاً في أن أقود أخي الأسود والأبيض إلى أن يمزق بقوة العباءة البالية التي نسجتها عصور عدم الفهم والتفاهم**"[٢]، ولكن ما المقصود بعبارة "عصور عدم التفاهم"؟

ويفسر لنا "جوردن" هذه العبارات فهو يرى أن ما يفرض على السود من معاناة أو من نظرات دونية مرجعها التراث الإنساني، إذ يرى أن التراث الإنساني منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث لا يخلو من النصوص التي تشير إلى "الأسود" بعبارات سلبية للغاية[٣]، هذه الصورة المسبقة كان لها دور كبير في تشكيل معاناة الرجل الأسود، فهي جعلته يعيش بوعي مزدوج :فهو لا يستطيع أن يرى أو يحكم على ذاته إلا من خلال عين الرجل الأبيض ومعاييره ،وهي أقسي صورة لكراهية الذات والاغتراب ،إنك لا تستطيع أن ترى نفسك أو أن تحكم عليها إلا من خلال عين الآخر[٤]، وقد عبر "فانون" عن هذه الحالة قائلاً:

"**كنت في لحظة ما مسؤولاً عن جسمي، مسؤولا عن عرقي، عن أجداي. نظرت إلى ذاتي نظرة موضوعية، أكتشف سوادي، سماتي الأثنية، وكانت تخترق أذني تلك الكلمات، آكل لحم البشر، والتخلف العقلي، الفتيشية**[*]،

(*)"White civilization and European culture have forced an existential deviation on the Negro".

<<Fanon,F.: Black Skin, White Masks, Trans.by : Markmann,c.l., Pluto Press, First published, London,1986, P:16>>

١ () فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص١٦

٢ () المصدر نفسه، ص ١٥.

(3)Gordon,R. L. Existence in Black: An anthology of Black existential philosophy,p:3.

(٤) مجدي رامي: لأن الملاك أبيض، موروثات الاستعمار كمعوق للتنمية عند ستيف بيكو، ص ١٣.

(*) الفيتشية fetishism : هي كلمة برتغالية الأصل تعني الصنم أو المعبود ،وفي العموم هي الاعتقاد بأن لبعض الأشياء المادية الصغيرة لها قوي سحرية خارقة للعادة ،وأطلقت في الأساس على مقدسات ومعبودات بعض

العيوب العرقية، تُجار العبيد .... ذلك اليوم، وذلك الشعور، إنني عاجز عن أن أكون في الخارج مع الآخر، الأبيض الذي كان يحبسني بلا شفقة، رحلت بعيدا عن وجودي. هنا بعيداً جداً لقد تحولت إلى شيء ...فماذا كان ذلك بالنسبة إليّ، إن لم يكن انقلاعاً، انسلاخاً، انفجارا.... ومع ذلك ما كنت أتمني إعادة الاعتبار......بكل بساطة كنت أريد أن أكون إنسانا بين أناس أخرون[١]

ولكن كيف تكون إنساناً؟ فبينما تدعو إلى هذه الإنسانية، وتبحث عن الشعور بالمحبة والكرامة، تقف أمامك العديد من العقبات: أولها محاولة البرهنة على أن الأسود مساوٍ للأبيض، ولكن العائق الأكثر صعوبة والأكثر أهمية هو مساعدة الأسود نفسه على التحرر من ترسانة العُقد النفسية، والصورة الذهنية التي ساهم الوضع الاستعماري في تغذيتها، فحين تتبدد هذه، الأوهام وقتها فقط يتحرر ليس الأسود فقط ولكن الأبيض أيضاً [٢].

فما ترسانة الأوهام تلك التي ظل الأسود حبيسها؟، وكيف رسمت هذه الأفكار الماهية المسبقة وفرضتها على الإنسان الأسود؟

حقيقة الأمر لقد ساهم التراث الإنساني بجملته في رسم إطار لصاحب البشرة السوداء، وظل طيلة عقود وقرون حبيساً لتلك الصورة الذهنية، وإذا أردنا تحليل هذا التراث، فيمكن أن نقسمه إلى الأنواع التالية:

الشعوب الأفريقية،ثم انتقلت إلى اللغات الأوربية الحديثة ، وتطور استخدام اللفظ ليشير بعد ذلك لنمط من أنماط السلوك الجنسي المنحرف ،يجرى فيه تركيز الشهوة الجنسية علي الأشياء التي لا روح فيها كأسلوب وحيد أو مفضل لبلوغ الإثارة الجنسية.

وسواء كان مقصود بها شكلاً من أشكال العبادة البدائية ،أو الانحراف الجنسي فكلا المعنيين سنجد انهما يرتطبتان بصورة الأسود في العقل الأوروبي الأبيض ،وسوف نشرح ذلك تفصيلاً في الصفحات القادمة(الباحثة)

<<انظر : روح الله الخالقي: الثقافة الجنسية، مادة: "الفيتشية"،دار النبلاء،الطبعة الأولى،ص٢٤٢.

<< تم الدخول علي الموقع بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠٢٣, https://ontology.birzeit.edu/term/fetishism

١ () فرانز فانون :بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص١٢٠،١٢١.

٢ () المصدر نفسه، ص٣٣ .

أ- **التراث الديني:**

"هل سمعت يوماً عن ملاك لونه أسود؟! تلك هي المشكلة (*)

"فالشيطان أيضاً أسود"(**)

أثناء تحليل "فانون" للعوامل التي ساهمت في رسم صورة سيئة للأسود، وجد أن التراث الديني ساهم بشكل كبير في رسم تلك الصورة، فبدأ بتوجيه النقد أولاً إلى ما أسماه الديانات الأصلية لدى سكان المناطق المستعمَرة، ثم توجه بالنقد إلى "الديانات السماوية الكبرى" قاصدا بذلك المسيحية الكاثوليكية والإسلام.(***)

(*)"How is it possible to Imagine God with Negro characteristics? This is not my vision of paradise. Indeed no, The good and Merciful God cannot be black"(بتصرف)

ترجمة العبارة الأصلية هي: "كيف يمكن أن نتخيل للإله سمات الزنوج، هذه ليست رؤيتي عن الفردوس، الإله الخير والرحيم لا يمكن أن يكون أسود"، ولكن تحفظت الباحثة على الترجمة لتنزيه الذات الإلهية عن أي تجسيد أو لون.

<<Fanon, F.: Black Skin, White Masks,P:51>>

(**)"Satan is black"

<<<Fanon, F.: Black Skin, White Masks,P:189>>

(***) قد يثار تساؤل حول علاقة "فانون" باليهودية وعدم تصريحه بأي نقد للممارسات اليهودية، حقيقة الأمر أن هناك غياب واضح وملحوظ في حديث "فانون" عن اليهودية كديانة أو عن اليهود كجنس في كتابات "فانون"، وفي دراسة قام بها "موايسي سعيد" بعنوان " فرانز فانون بين تغييب الإسلام والتضامن مع اليهود" ربط أيضاً هذا الصمت بعدم تضامن "فانون" مع القضية الفلسطينية، بالرغم من تضامنه مع الثورة الجزائرية، وأرجع فيها أسباب هذا الصمت إلى عدة أسباب نذكر منها:

١. إن "فانون" في كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" كان يري تشابهاً بين الأسود واليهودي، فكل منهم عانى من الاضطهاد، فكتب يقول: "كنت أتأنس وانضممت إلى اليهودي فأصبحنا أخوين في التعاسة" ولكن "فانون" يرى أن الأسود اشد تعرضاً للاضطهاد بسبب لونه؛ فاليهودي قد يخفي يهوديته، ولكن الأسود لا يستطيع أن يخفي لونه.
٢. فكرة التضامن مع اليهود ظهرت أيضاً عند "فانون" يذكرها أيضاً حين يروى على لسان أستاذه في الفلسفة الأنتيلي الأصل يقول لهم: "عندما تسمعونهم يتحدثون بسوء عن اليهود، فاستمعوا له، فالحديث عنكم" واستنتج فانون بذلك أن المعادي للسامية هو معادٍ بالضرورة للزنجي.
٣. يتحدث "فانون" عن يهود الجزائر ومساندتهم للثورة الجزائرية في معرض حديثة عن "الأقلية الأوربية في الجزائر "، ولكنه لم يتحدث عن الوجه الآخر لليهود في فلسطين مع إنها كانت قضية دولية ذائعة الصيت في هذا الوقت.

وبالرغم من هذه الأسباب إلا أننا يمكن أن نري أن دعوة "فانون" لإنسانية خالية من التعصب ومواجهة الاستعمار لم تكن رسالة يقصد بها الاستعمار الفرنسي أو مساندة الثورة الجزائرية فقط ، فربما تواجده في الجزائر والاقتراب الشديد من الأوضاع الاستعمارية والوحشية فيها جعلت تركيزه عليه أكثر وضوحاً، ولكن رؤيته في الأصل كانت دعوة إنسانية عالمية يمكن تطبيق مبادئها تجاه أي شكل من أشكال الاضطهاد ،فإذا كان قد تضامن مع اليهودي المضطهد ،فأيضاً بالضرورة لابد أن يساند لكن من يقع عليه أي شكل من أشكال التميز أو الاضطهاد.

ولا يمكــن أن نفصــل بــين توجــه وآراء "فــانون" عــن الــدين وبــين النزعــات الماركسـية والتحرريــة السـائدة فــي هـذا العصـر، فقـد اشــترك "فـانون" مــع التيــارات الماركسـية وتيـارات مـع بعـد الحداثـة فـي رؤيـتهم للـدين باعتبـاره عائقـاً لتقـدم الشـعوب، واعتقـادهم أن بدايــة الحداثــة الحقيقيــة تــرتبط ارتباطــاً وثيقــاً بتراجــع الــدين أو بعبــارة أدق التأثير الديني فى تفكير الشعوب.

ومــن واقــع التجربــة الحيــة المعيشــة بــدأ "فــانون" فــي تحليــل أثــر المعتقــدات الدينيــة فــي رسـم ماهيــة مسـبقة للأسـود، كـان "فـانون" قـد اتصـل بالـديانات البدائيـة، والمسـيحية الكاثوليكيـة فـي موطنـه الأصـلي جـزر المارتينيـك، واتصـل بالإسـلام فـي أثنـاء اتصـاله بـالثورة الجزائريــة فــي عــام ١٩٥٣ أثنــاء عملــه كطبيــب نفســي فــي الجزائـر، ومـن خـلال هـذه التجـارب الحيـة بـدأ فـي رصـد أثـر المعتقـدات الدينيـة لـيس فـي رسـم صـورة للإنسـان الأسـود فقـط، ولكـن فـي غـرس انشـقاقات والصـراعات داخـل أفراد المجتمع الواحد[١].

ولنبــدأ برؤيــة "فــانون" للــديانات البدائيــة أو الأصــلية لسـكان المسـتعمرات، إذ اعتبــر "فــانون" أن الــديانات الأصــلية بمــا فيهــا مــن ممارســات بدائيــة وغيبيــة قــد رَسـخت فـي داخـل السـود أنفسـهم العديـد مـن الخرافـات التـي ظلـت حـائلاً بينـهم وبـين أي محاولـة للتقـدم أو الحداثـة، كمـا أنهـا أظهـرتهم أمـام المسـتعمرين بشـكل أقـرب مـا يكــون إلــى الوحشــية والتخلــف، فممارســاتهم وإيمــانهم بأفكــار مثــل اجتمــاع الأفــراد حــول حلقــات النيــران والــرقص حولهــا [*] وأفكــار المــس[**] لــم يــوفر لهــم ســوى

<< انظر: موايسي سعيد: فرانز فانون بين تغييب الإسلام والتّضامن مع اليهود، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة٢، العدد رقم (٢)، المجلد رقم (٨)، يونيو ٢٠٢٢،ص٦٠١،٦٠٢>>

(1)Settler, F.: Frantz Fanon’s Ambivalence towards Religion. Journal for the Study of Religion, vol.25(2), (2012). P: 6.

(*) اشتهرت في أفريقيا ولدى الزنوج ظاهرة حلقات الرقص، ففي ساعات محددة، وفي أيام معينة يجتمع رجال ونساء القبيلة في مكان بذاته، وعلى مرأى القبيلة كلها يقومون بحركات تمثيلية، يوهم ظاهرها بأنها فوضي، ولكنها حقيقة الأمر منظمة جداً، فبأساليب مختلفة كهز الرأس وأحناء الظهر، واندفاع الجسم كله إلى الوراء تبذل الجماعة جهداً كبيراً في سبيل أن تخرج ذاتها وأن تعبر عن نفسها، كل شيء مباح في هذه الحلقة، وتعتبر الأمكنة التي يتم فيها ذلك أمكنة مقدسة، حتى "سارتر" نفسه في مقدمة كتاب معذبو الأرض عندما يتحدث عن السود يقول :"أيها الأوربيون ،أقرأوا هذا الكتاب ،وادخلوا فيه، فبعد أن تسيروا بضع خطوات في الظلام ستجدون أناساً أجانب قد تحلقوا حول النار. اقتربوا منهم واصغوا إليهم "

<< جان بول سارتر: مقدمة معذبو الأرض، ص ٢٤>>

السخرية، ليس ذلك فحسب بل حاول المستعمر ترسيخها كي تقوم بوظيفة أهم وهي تأمين السكون والخضوع في العالم المستعمَر.

لقد رأى "فانون" أن الأديان البدائية وفرت الأسباب والمبررات التي تُخمد في الإنسان روح الهجوم والثورة، فتصوراته عن وجود جن شريرة تتربص به كلما تحرك، ووجود بشر على هيئة أسُود، وبشر في شكل أفاع، وكلاب لها ست أرجل، وعدد لا نهاية له من الكائنات الصغيرة أو العملاقة قد بنت حوله محرمات وسدوداً وموانع أرهب من العالم الاستعماري نفسه.

أن هذه القوى الغيبية والسحرية تبدو له قوة جبارة، فبالرغم من قدرتها على أن تمنح الفرد شكلاً من أشكال الهوية، إلا أنها في الوقت نفسه تقيده بأغلال وثيقة، يكفي أنها تُصغر قوى المستعمر في نظره، وتخرجه من نطاق اهتماماته، ولا يكون عليه بعد ذلك أن يكافحها، لأن أعداءه الخرافيين هم الذين يرهبونه قبل كل شيء. (١)

قد يتبادر إلى الذهن أن "فانون" هنا ينظر أيضاً نظرة استعلائية لهذه الأديان البدائية، وهي نظرة تتشابه مع نظرة المستعمر ذاته، ولكن الأمر على خلاف ذلك، لقد كان على يقين أن هذه الديانات البدائية وهذه الطقوس تخفي وراءها موجة انفعالية هائلة، ولذا فقد كان يريد توجيه تلك الطاقة التنظيمية والتضامنية تجاه أمر واحد هو الكيفية التي يمكن من خلالها تحقيق الحرية والتأكيد على إنسانية هذا الأسود، وقد عبر "فانون" عن هذا الأمر فيقول:

"لقد رأينا هذا العنف أثناء فترة الاستعمار يدور على فراغ، ورأينا شحناته تفرغ في الرقص، أو في الحفلات التي تعقد لطرد الجن من الممسوسين،

(**) أفكار المس:obsession :هو تصور مصحوب بانفعالات مؤلمة تسيطر علي مجال الشعور، من خلال التفكير بأن كائناً قد تسلل إليه واستحوذ عليه، كائناً من الجن والشياطين والأشباح، ولذلك تعقد جلسات لظاهرة للتحرر من المس.

<< انظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة": المس" الجزء (٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٦٦>>

١ () فرانز فانون: معذبو الأرض ، ص٥٤

& Settler, F.: Frantz Fanon’s Ambivalence Towards Religion. Journal for the Study of Religion, P: 18.

ورأيناه في خصومات يقتل فيها الإخوة إخوتهم، والمسألة الآن هى أن نقبض على هذا العنف الذي ينحرف عن سبيله ويضل عن غايته، لقد كان ينصرف في ترهات خرافية، غير أن ظروفاً جديدة ستتيح له الآن أن يغير اتجاهه"(١)

أما الدين المسيحي فقد رأي " فانون" أنه على وجه التخصيص قد ساهم في تدعيم النظرة العنصرية، فعلى الرغم من أن "فانون" كان في سنوات عمره الأولي شاباً كاثوليكياً تلقي تعليمه في مدارس اليسوعيين، وكان من داخله مملوءً بالحماس، يريد خدمة فرنسا والدفاع عنها وعنُ مثلها الليبرالية، إلا أنه سرعان ما تغير وتغيرت فكرته عن المثالية، والمواطنة، والمساواة بسبب مواجهته للعنصرية في أوروبا، وهنا بدأ يفكر في الظروف الاجتماعية للمستعمَر، وصور وممارسات الاغتراب والإقصاء التي تعرض لها هو ومن على شاكلته من أصحاب البشرة السوداء، وسرعان ما أصيب بخيبة أمل من المؤسسات الاجتماعية التقليدية وكان علي رأسها الكنيسة(٢)، فقد رأي أن الكنيسة في المستعمرات كانت كنيسة للبيض، كنيسة الأجانب، وجد إنها لا تدعو الإنسان المستعمَر إلى طريق الله، وإنما تدعوه إلى طريق الإنسان الأبيض، إلى طريق السيد المتسلط، إلى طريق المضطهد الغاشم.(٣)

لقد كان للدين المسيحي دوراً مزدوجاً في بناء ترسانة الأفكار الخاطئة كما عبر "فانون"، أولاً من جانب الأوروبيين الذين استعمروا هذه الأرض، نجد أن الأوربيون حاولوا طيلة القرون السابقة تبرير فكرة عبودية الزنوج في العالم الجديد، واستخدموا ما يعرف باسم "الحماس التبشيري" لتبرير ذلك العنف مستشهدين ببعض مقاطع من الكتاب المقدس للتأكيد على دونية الأسود(*)(١).

---

١ () المصدر نفسه ،ص٥٦،٥٧.

(2) Settler, F.: Frantz Fanon’s Ambivalence towards Religion. Journal for the Study of Religion, P: 7.

٣ () فرانز فانون: معذبو الأرض ، ص٤٤ .

(*)استخدم المبشرون الأوربيون بعض مقاطع من الكتاب المقدس، واعتمدوا عليها في التأكيد علي دونية الرجل الأسود، وإلصاق اللعنة بالجنس الأسود كله أو اللون الأسود، استناداً إلي حادثة لَعن نوح عليه السلام لابنه حام، والقصة بأكملها مذكورة في سفر التكوين في الإصحاح التاسع كالتالي: "وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ، فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا، فَأَخَذَ سَامٌ وَ يَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا

لقد تم ربط اللون الأسود بالشياطين والجحيم، ليس ذلك فحسب بل ربط السود بكل ما هو ملعون حتي إنه صارت كلمة الأسود مرادفاً للخطيئة ، وعلي النقيض كان يتم الربط بين اللون الأبيض والملائكة والجنة والجمال، وقد عبر "فانون" عن هذه الحالة بعبارات يملأها الألم فيقول: "**لقد تبلور في أعماق اللاوعي الأوروبي هلالُ أسود جداً كالمحاق، حيث ترقد اشد النزوات فساداً، وعلي غرار كل إنسان يصعد نحو البياض والنور، أراد الأوروبي رفض غير المتحضر هذا الذي يحاول الدفاع عن نفسه، وعندما اتصلت الحضارة الأوروبية بالعالم الأسود، بالشعوب المتوحشة هذه ،كان الجميع متفقين: هؤلاء الزنوج كانوا مبدأ الشر**"[٢].

أما الجانب الثاني فكان من جهة السود أنفسهم فقد رأى "فانون" أن الدين كان يغرس في حياة السود أنفسهم أفكار خاطئة؛ فبواسطة الإيمان بالقدر مثلاً يجرد المضطهد من المسؤولية، باعتبار أن الله علة كل شيء فهو الذي أراد لك هذه الآلام، وهذا البؤس وهذا المصير، فعليك أن تقبل هذا الفناء الذي أراده الله [١] (*).

عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ.«وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ.لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ».

وتستكمل باقي القصة في الإصحاح التالي الذي يذكر فيه سلالة أولاد نوح قائلاً: " بَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. وَبَنُو كُوشَ: سَبَا وَحَوِيلَةُ وَسَبْتَةُ وَرَعْمَةُ وَسَبْتَكَا. وَبَنُو رَعْمَةَ: شَبَا وَدَدَانُ. وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ، الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. لِذلِكَ يُقَالُ: «كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ».

وكلمة "كوش" تعني زنجي أو أسود، ومن هنا جاء الربط بين الزنوج واللعنة، أي أن اللعنة التي وقعت على حام توارثها أولاده، بل يُستخدم النص للتدليل على أن السواد نفسه كان مظهراً من مظاهر اللعنة.

(1)Jefferson,F.:Toward Resolution of the Race Problem from a Christian Theological Perspective: A Critical Analysis and Constructive Interpretation of the Thought of Frantz Fanon, Eldridge Cleaver, and Martin Luther King , Jr., The University of Chicago, 1973,p: 32.

٢ () فرانز فانون :بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٢٠٠-٢٠٢

(*) حقيقة الأمر أن "فانون" جانبه الصواب وخلط بين المسيحية كديانة وممارسات رجال الدين الاستعماريين، فكما اعتمد الاستعماريون على تأويل نصوص الكتاب المقدس بشكل خاطئ ومجتزئ، كان يجب عليه أن ينظر من إلى الأمر بمزيد من التفحص، فالمسيحية كديانة لا توجد فيها أي نظرة استعلائية لعرق دون الآخر، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النقاط التالية:

ومـع ذلـك لـم ينكـر "فـانون" المحـاولات التـي قامـت بهـا المسـيحية الكاثوليكيـة فـي إدانـة فكـرة الـرق والتمييـز، ولكنـه يـرى أن ذلـك التبريـر جـاء متـأخراً بعـد مـا كانـت العقـول قـد تشـبعت بالأحكـام المسـبقة، وتمـزق المـرء إلـى أشـلاء(*)، ولكنـه فـي ذلـك أيضـاً لـم يرجـع إلـى طبيعـة النصـوص الدينيـة، ولكنـه ارجـع ذلـك إلـى الاكتشـافات العلمية التي أقرت أن الأسود كائن بشري، وأنه مماثل للأبيض. [٢]

أمـا عـن الإسـلام فقـد اتصـل "فـانون" مـع الإسـلام عـن قـرب مـن خـلال عملـه

١-اللعنة في الكتاب المقدس لم تقترن بلون معين، أو بجنس معين، أو حتـى بأشخاص، فهـي يمكـن أن توجـه للكائنـات الحية كلها، ولكنها كانت مرتبطة بالخطيئة ويظهر ذلك في أكثر من موضع بداية من سفر التكوين عندما لعن الله الحية لأنها أغوت حواء فَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذا ملعونة أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَـائِمِ وَمِـنْ جَمِيـعِ وُحُـوشِ الْبَرِّيَّـةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تك٣:١٤)، ولعن الله "قايين" عندما قتل أخيـه "هابيل "فَقَـالَ: «مَـاذَا فَعَلْـتَ؟ صَـوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَـا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيـكَ مِـنْ يَـدِكَ» (تـك٤:١٠)،و فـي العهد الجديد لعن السيد المسيح شجرة التين لأنها كانت مورقة ولكنها خالية من الثمر« فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَـا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّين، فَأَجَـابَ يَسُـوعُ وَقَـالَ لَهَـا: «لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!» وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ.... وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَـتْ مِنَ الأُصُولِ، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي، انْظُرْ! اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!» مرقص(١١:١٣،١٤،٢٠،٢١) .

٢-اللون الأسود في الكتاب المقدس لم يكن يشير إلى قبح أو دمامة، والدليل على ذلك "عـذراء النشـيد وهـي تقـول "أَنَـا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، كَخِيَامِ قِيدَارَ، كَشُقَقِ سُلَيْمَانَ." (نش ١: ٥). وخيـام قيـدار هـي خيـام يعـيش فيهـا رعـاة الغنم وكانت تصنع من جلد الماعز الداكن الأسود.

٣-الله نفسه تدخل وعاقب أخت موسي لأجل أنها تكلمـت علـى المـرأة الكوشـي زوجـه موسـي النبـي: "وَتَكَلَّمَـتْ مَـرْيَمُ وَهَارُونُ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا، لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً....فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمَـا وَمَضَـى. فَلَمَّـا ارْتَفَعَـتِ السَّـحَابَةُ عَـنِ الْخَيْمَـةِ إِذَا مَـرْيَمُ بَرْصَـاءُ كَـالثَّلْجِ. فَالْتَفَـتَ هَـارُونُ إِلَـى مَـرْيَمَ وَإِذَا هِـيَ بَرْصَاءُ."(عد١١:١،٩،١٠)

٤-يذكر سفر أخبار الأيام أن ملكة سبأ جاءت لتسمع حكمة سليمان ويقال إنها أصبحت زوجته، ومملكة سبأ هي إحدى الممالك الجنوبية والتي تدخل في نطاق اللون الأسود.(اخ

٥_ في العهد الجديد أرسل الله فيلبس الرسول إلي الخصي الحبشي ليعرفه الإيمان، فلو كان هناك أي شبهة للدونية أو للتحقير فما كان سيرسل الله له أحد تلاميذه شخصياً(أع ٨: ٢٦-٣٩).

٦-في سفر الرؤيا: الواقفون أما العرش من كل الأمم ومن القبائل ومن كل الشعوب. ليعلن أن الجميع سواسية أمام الله "بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ" (رؤ ٧: ٩).

٧-في التراث الكنسي: كان للأسود نصيب في القداسة والتكريم، نظر على سبيل المثال الأنبا موسي الأسود(٣٣٠-٤٠٥) م في القرن الرابع الميلادي، والقديس تكلا هيمانوت الحبشي(١٢١٥-١٣١٣) في القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادي. (الباحثة)

<< انظر: الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية، دار الكتاب المقدس، الطبعة الأولي، القاهرة،٢٠٢١

<<Cp.: Mayers, R.: God's Dealings with the Negro ,p:10,11>>

١ () فرانز فانون: معذبو الأرض ص ٥٤.

(*)As times changed, one had seen the Catholic religion at first justify and then condemn slavery and prejudices.But by referring everything to the idea of the dignity of man; one had ripped prejudice to shreds.

<<Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks,P:119>>

٢ () فرانز فانون: بشرة سوداء : ص ١٢٧

كطبيب نفسي في الجزائر في الفترة التي كانت تخضع فيها للاستعمار الفرنسي، بل وعاصر ثورة التحرير الجزائرية واستلهم منها الكثير من أفكاره التي كتبها في كتابه "معذبو الأرض"، وأُعجب بما فيه من دعوات إلى المساواة، وكيف يمكن أن تكون دعامة أساسية لخلق مجتمع جديد، خالص من أي تعصب، وبالرغم من ذلك أظهر "فانون" بعض التخوفات والتحفظات إزاء الدين الإسلامي نذكر منها:

- أولاً: الخوف من أن تتحول النزعة التحررية في الجزائر إلى نزعة إسلامية عنصرية بينما كان "فانون" يُريدها نزعة إنسانية خالصة: ففي الوقت الذي لم ينكر فيه "فانون" دور الإسلام في توحيد صف الجزائريين للمقاومة الاستعمار، إلا أن رأى أن هذه المقاومة كانت مغلفة بفكرة "الجهاد الديني"، وهنا تظهر الخطورة، فبالرغم من تلك القوة التي يمنحها الدين للمقاومة، إلا إنه أدرك أنه في لحظة ما ستتحول تلك المقاومة نفسها إلى نزعة عنصرية؛ وبدلاً من أن يقال أن الشعب الجزائري قاوم الاستعمار الذي الحق الضرر به وببلاده، ستظهر الصورة أن الشعب الجزائري المسلم قاوم المستعمر الكاثوليكي.
- ثانياً: انتقد "فانون" الربط بين الإسلام والتعبيرات أو التصورات الروحية الأكثر غرابة، قاصداً بذلك تصورات من أسماهم "المرابطين"(**)، فقد ميز فانون في تعامله مع الإسلام بين صورة الإسلام في المراكز الحضرية والإسلام المنتشر في المناطق الريفية، هذه المناطق هي التي يرى "فانون" إنها الأكثر خطورة حيث بساطة الأفراد، وتعلقهم برجال الدين. [١]

حقيقة الأمر أن وجه نظر"فانون" للدين كانت ملتبسة، خلط فيها بين الدين وممارسات رجال الدين، وكان عليه استيضاح الأمر، وربما يرجع ذلك إلى

(**) المرابطين :يقصد بالمرابطين :الملازمين لمكانهم ، وكان هذا اللفظ يطلق علي متصوفة الجزائر أو الطريقة الإسلامية (الأخويات الدينية الصوفية) هي واحدة من الأشكال المنظمة الرئيسية لإسلام غرب إفريقيا.

(1) Settler, F.: Frantz Fanon’s ambivalence towards religion. Journal for the Study of Religion, P

التـأثيرات الوجوديـة والماركسـية فـى فكـر فـانون، بـالرغم أن الفرصـة كانـت متاحـة لتصـحيح المفـاهيم، والتأكيـد علـى القـيم الدينيـة بمـا تتضـمنه مـن إنسـانية ومحبـة ومساواة.

ب- **التراث الفلسفي:**

"يجب أن يُلزِم أولئك الذين حاولوا عبثًا عبر القرون أن يختزلوه إلى مرتبة الهمجي المتوحش،

أن يدركوا أنه إنسان"(*)(١)

كـان "سـارتر" فـي مقالتـه التـي نشـرها "أورفـيس الأسـود" قـد دعـا الأوربيـين إلـى إعـادة النظـر فـي تصـوراتهم المسـبقة التـي اقترنـت فـي عقـولهم بأصـحاب البشـرة السـوداء، والمعنـي ذاتـه كـان "فـانون" قـد أشـار إليـه حـين رأى أن التـراث الفلسـفي كـان سـبباً فـي وجـود ماهيـة مسبقة للإنسـان الأسـود. وقـد عبـر "فـانون" عـن ذلـك، إذ يـرى أنـه بـالرغم مـن أن جميـع العناصـر اللازمـة لحـل مشـكلات الإنسـانية الكبـرى قـد وجـدت فـي الفكـر الأوروبـي، إلا أن الأوروبيـين لـم يحققـوا الرسـالة المنوطـة بهـم، فـي حين انهم إن استندوا عليها، ارتقوا بالإنسان إلى مكانة أعلى وأكثر رفعة. (٢)

لقـد حمـل القـرن الثـامن عشـر فـي طياتـه مشـكلة جوهريـة، ففـي الوقـت الـذي ظهـرت فيـه دعـوات التنـوير، والنزعـات الإنسـانية، والمنـاداة بحقـوق الإنسـان، كانـت قضـايا العَـرْق والعبوديـة تتصـدر السـاحة، وظهـرت الآراء والحجـج المتعارضـة والتـي تـارة تؤكـد أن جميـع النـاس متسـاوون، وتـارة تُظهـر الميـل إلـى تبريـر العبوديـة والتأكيـد علـي الدونيـة الطبيعيـة لهـؤلاء العبيـد؛ فظهـرت مـا يسـمي بنزعـات "تبريـر التفـوق الأوروبـي علـي بقيـة البشـر the justification of European superiority over the rest of mankind". (٣)

(*) He must oblige those who have vainly tried throughout the centuries to reduce him to the status of a beast, to recognize that he is a man.

(1)Sartre, J. P.: Black Orpheus,p18

٢ () فرانز فانون: معذبو الأرض، ص ٢٥٣.

(3)Popkin, Richard H. "The Philosophical Basis of Eighteenth-Century Racism." Studies in Eighteenth-Century Culture 3 (1974): 245-262. doi:10.1353/sec.1974.0016.

وأوضح لنا "جوردون" هذا الأمر فهو يقول:" إن أى طالب للفلسفة من وقت لأخر _خاصة إذا كان من السود_ سيلاحظ أن الفلاسفة الأوروبيين المعاصرين ليسوا مؤيدين للسود؛ بل إننا نجد أن الأفكار التي ساهمت في تدهورهم متضمنَة في كتابات العديد من الفلاسفة، وعلى رأسهم "ديفيد هيوم" (١٧١١ - ١٧٧٦) و"هيجل" (١٧٧٠ —١٨٣١) ، وهذا الأمر لا غرابة فيه، لأنهم بشر، حملوا وجسدوا أعراف مجتمعهم، ولكن الأمر اللافت للنظر عند "جوردون" هو النزعة الإنكارية والتبريرية التي يقدمها قارؤ ومُفسرو هذه النصوص، وكأن هذه النصوص كانت تحمل في طياتها السمة الإلهية التي تجعلها بمنأى عن النقد.[١]

ولنبدأ في تفنيد تلك الآراء لنر كيف ساهمت في تكوين تلك الماهية المسبقة، ولنبدأ من "ديفيد هيوم" الذي ثارت حوله العديد من التكهنات بسبب الحاشية التي وردت في مقال له بعنوان" حول السمات القومية Of National Characters"، والتي ناقش فيها طبيعة الشخصية القومية ، ويقارن فيها بين السمات الشخصية لشعوب للبلدان المختلفة، إذ يرى أن كل أمة لها مجموعة من الصفات التي تميزها؛ فعلى سبيل المثال: الناس في سويسرا يتصفون بالصدق أكثر من الإيرلنديين، كما أن الرجل الفرنسي يتمتع بقدر أكبر من الذكاء والبهجة عن نظيره الإسباني، أما الإنجليزي فهو رجل المعرفة بالمقارنة مع الدانيماركي، ولكن هذه السمات لا تلغي وجود الاستثناءات.

وأرجع "هيوم" تكون هذه السمات إلى نوعين من الأسباب: المجموعة الأولي والتي أطلق عليها اسم "الأسباب الطبيعية physical causes"، ويشير فيها إلى: تلك العوامل الخاصة بالهواء والمناخ والتي تؤثر بشكل غير محسوس في الحالة المزاجية للإنسان عن طريق تغير في لون الجسم وعاداته، أما النوع الثاني والتي أطلق عليها "الأسباب الأخلاقية moral causes : قاصداً بها

(1)Gordon, L. R.: Black existence in philosophy of culture. Diogens ,vol. 59(3-4), 2012 P:97.

جميع الظروف المهيئة لعمل العقل كالحكومة وثورات المجتمع ، وعلاقة الدولة بجيرانها ،ومستوي الأمة من الغنى والفقر، إذ يرى أن الفقر والعمل الشاق يحط من عقول عامة الناس، ويجعلهم غير صالحين لأي علم أو مهنة بارعة(1) .

وبالرغم من قصور الفكرة في حد ذاتها، إذ تحمل أيضاً تمييزاً عنصرياً بين سكان تلك البلدان وبعضها إلا انه يلحق هذه الأفكار بحاشية خص بها الجنس الأسود من الزنوج وسكان أفريقيا يقول فيها: "**أنا على استعداد للاشتباه في أن الزنوج هم بطبيعة الحال أقل شأنا من البيض. نادرا ما كانت هناك أمة متحضرة من هذا القبيل، ولا حتى أي فرد بارز سواء في العمل أو التكهنات. لا يوجد بينهم صناعات بارعة، ولا فنون، ولا علوم. من ناحية أخرى، فإن أكثر البيض فظاظة وبربرية، مثل الألمان القدماء، التتار الحاليين، لا يزال لديهم شيء بارز عنهم، في شجاعتهم، أو شكل حكومتهم، أو أي شيء خاص آخر. مثل هذا الاختلاف الموحد والثابت لا يمكن أن يحدث، في العديد من البلدان والأعمار، إذا لم تقم الطبيعة بتمييز أصلي بين هذه السلالات من الرجال. ناهيك عن مستعمراتنا، هناك عبيد زنوج منتشرون في جميع أنحاء أوروبا، ولم يكتشف أي منهم أبدًا أي مظاهر للإبداع؛ على الرغم من أن الأشخاص المتدنيين، دون تعليم، يظهرون من بيننا، ويميزون أنفسهم في كل مهنة. في جامايكا، يتحدثون بالفعل عن زنجي واحد كرجل متعلم ومتعلم. ولكن من المرجح أنه يحظى بالإعجاب بسبب إنجازاته النحيلة، مثل الببغاء، الذي يتكلم بضع كلمات بوضوح.**(*) (1)

(1)Hume,D.: Of National Characters, https://davidhume.org/texts/empl1/nc & ASHER, K. : "Was David Hume a racist? Interpreting Hume's infamous footnote (Part I). Economic Affairs, 2022, 42.2: 225-239.

(*)I am apt to suspect the negroes to be naturally inferior to the whites. There scarcely ever was a civilized nation of that complexion, nor even any individual eminent either in action or speculation. No ingenious manufactures amongst them, no arts, no sciences. On the other hand, the most rude and barbarous of the whites, such as the ancient Germans, the present Tartars, have still something eminent about them, in their valour, form of government, or some other particular. Such a uniform and constant difference could not happen, in so many countries and ages, if nature had not made an original distinction between these breeds of men. Not to mention our colonies, there are Negroe slaves

ويتضح من الفقرة السابقة مدى التحقير والدونية التي ألحقها "هيوم" بالجنس الأسود، وكان من المفترض بهيوم رائد المنهج التجريبي ألا يطلق أحكاماً عامة دون التحقق، لأنه كان يعلم أن وجود فرد واحد يخالف هذه التوقعات كفيل بأن يهدم نظريته بأكملها، ولكن عُنصريته المفرطة قد منعته من البحث في أصول هذه الأمم وحضاراتها التي يستبعد "هيوم" وجودها، وهذا الأمر ذاته قد أشار إليه "فانون" حين قال:" **لقد أخطأ الأبيض، فأنا لم أكن بدائياً كما لم أكن نصف إنسان، بل كنت انتمى إلى عرق يصنع الذهب والفضة قبل ألفي سنة.** (*)(2)

وإذا كانت الوجودية الأوربية قد ظهرت في الأساس كرد فعل للنزعة العقلية الصارمة في المذهب الهيجيلي، فقد كان أيضاً لهيجل بما كتبه عن الجنس الأسود الأثر الأكبر في ترسيخ الصورة الدونية لأصحاب البشرة السوداء، خاصة عندما أضاف إلى صورة البدائية والتأخر، وفكرة العبودية.

لقد قدم "هيجل" وصفاً دونياً للقارة الأفريقية موضحاً أن أفريقيا تمثل رحلة

---

dispersed all over Europe, of whom none ever discovered any symptoms of ingenuity; though low people, without education, will start up amongst us, and distinguish themselves in every profession. In Jamaica, indeed, they talk of one Negros as a man of parts and learning; but it is likely he is admired for slender accomplishments, like a parrot, who speaks a few words plainly.

<< Hume,D.: Of National Characters, https://davidhume.org/texts/empl1/nc>>

(1)Hume,D.: Of National Characters, https://davidhume.org/texts/empl1/nc.
& ASHER, K. : "Was David Hume a racist? Interpreting Hume's infamous footnote (Part I). Economic Affairs, 2022, 42.2: 225-239.

2 ()فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء،ص١٩٣

(*) تذكر المصادر التاريخية بالفعل أن الشعوب الأفريقية كان لها حضارات وأن تاريخ أفريقيا السوداء لم يكتب كاملاً بعد، ويذكر أن هناك العديد من الدول كانت موجودة في عصور ما قبل الاستعمار مثل : مملكة تكرور: الواقعة على ضفاف السنغال، وكانت الوصل بين البربر والشعوب السودانية، ومن أشهر مدنها "سيلاوباريسا"، مملكلة مندنغ :الواقعة في مناطق السنغال والنيجر العليا، وكان معظم سكانها من قبائل يميرا ومالنكيه.،مملكة سزاي: الواقعة في حوض النيجر وعاصمتها كوكيا والتي كان معظم سكانها من المزارعين وصيادي الأسماك.، ممالك موشي: الواقعة في حوض النيجر وأشهر ها مملكة وغادوغو،ومملكة بيتنغا وومملكة غورما،ومعظم سكانها من المزارعين.

هذه الدول وغيرها موجودة في مؤلفات الفلكي الجغرافي العربي"محمد بن إبراهيم الغزاري" الذي عاش في عهد الخليفة العباسي المنصور، أي في أواخر القرن السابع الميلادي، و ابن عبد الحكم ، واليعقوبي ابن الفقيه الحمداني الذي تحدث عن غانا في مؤلفه النفيس "كتاب البلدان".

<<انظر: يوسف روكز: أفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٨٦، ص٥٥،٥٦>>

مـن العقـل إلـى الإحسـاس، لا مـن الإحسـاس إلـى العقـل، أي أنهـا رحلـة هبـوط وليسـت رحلـة ارتقـاء،[1] فلـم يتـرك "هيجـل" جانبـاً فـي أفريقيـا دون شـرح وتحليـل، مـن كل الجوانب:

- **جغرافيـاً**: تنقسـم إلـى قسـمين تفصـل بينهمـا صـحراء قاحلـة، القسـم الأول القريـب مـن أوروبـا حيـث الحضـارة المصـرية القديمـة، وهـو موجـود فـي أفريقيـا ولكنـه لا ينتمـي إليهـا، و يطلـق عليهـا "أفريقيـا الأوروبيـة"، أمـا القسـم الثـاني فهـي أفريقيـا المقطوعـة عـن العـالم ومحـددة بجغرافيتهـا، وحيواناتهـا غيـر الإنسـانية، الغابـة الكثيفـة التـي لا نهايـة لهـا، والزواحـف المتسـلقة، والنباتـات الخانقـة السـريعة النمو[2]
- **مُناخيـاً**: تـدخل أفريقيـا ضـمن المنطقـة الحـارة التـي يراهـا مـع نظيرتهـا البـاردة ليسـتا موقعـاً مناسـبا لظهـور التـاريخ، ففـي المنـاطق الشـديدة الحـرارة أو البـرودة لا يسـتطيع الإنسـان أن يتحـرك بحريـة، لأن البـرد والحـر يـؤثران فيـه، ولا يسـمحان للـنفس بـأن تبنـي لـذاتها عالمها الخاص.[3]
- **أنثروبولوجيـاً**: وصـف "هيجـل" سكان أفريقيـا، فالرجـل الزنجـي يمثـل الإنسـان الطبيعـي فـي حالتـه الهمجيـة غيـر المروضـة، وإذا مـا أردنـا فهمـه، فلابـد أن نضـع جانبـاً كـل فكـرة عـن التبجيـل والأخـلاق، لقـد أظهـروا فـي حـروبهم أكبـر قـدر مـن اللاإنسـانية والوحشـية والهمجيـة البغيضـة، وأطلقـوا لأنفسـهم العنـان فـي الاحتقـار الكامـل للإنسـانية، وانحطـاط قيمـة الإنسـان إلـى أنهـم ينظـرون إلـى "أكـل لحـوم البشـر"

1 () مونيس بخضرة، تأويل العقل الثقافي الإفريقي، دار الأيام للنشر والتوزيع، ٢٠١٨، ص ١٢ نقلاً عن : https://www.ida2at.com/african-philosophy-defending-identity-confronting-colonial-imagination/

2 ()هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) : ترجمة :إمام عبد الفتاح إمام ،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثالثة،بيروت،٢٠٠٧،ص١٧٢

3 ()نازلي إسماعيل حسين: الشعب والتاريخ (هيجل)،دار المعارف ،القاهرة، ١٩٧٦،ص ١٢٩

على أنه مسألة عادية ومسموح بها. [1]

- **عقلياً**: يرى "هيجل" أن السمة البارزة للحياة الزنجية هي أن الوعي لم يبلغ مرحلة التحقق الفعلي، لأى وجود موضوعي جوهري يمثل: الله، أو القانون، اللذين ترتبط بهما مصلحة الإنسان، وفيهما يحقق وجوده الخاص، والأفريقي في وجوده العيني الموحد الذي يتسم بالتجانس والتخلف، لم يبلغ تلك المرحلة التي يميز فيها بين ذاته بوصفه فرداً وبين وجوده الجوهري، فهو يفتقر تماماً إلى معرفة أن هنالك وجوداً مطلقاً آخر أعلى من ذاتيته الفردية.[2]

إن كل هذه الأوصاف تثير الحنق، فهي إن دلت على شيء، فهي تدل على عنصرية بغيضة، ليس ذلك فحسب بل خلفت وراءها العديد من النتائج السلبية نذكر منها:

أولاً: على المستوى الإنساني: لقد كانت آراء "هيجل تروج وتؤكد لفكرة تميز واستعلاء الرجل الأوروبي[3] ربما كانت أفكار "هيجل عن "سمات الإنسان الزنجي"، وخاصة فكرة "آكلى لحوم البشر"، أحدثت الاقتران والتلازم بين الأسود وكل هذه الصفات السلبية و، وهذا ما أشار إليه "فانون" **"كنت في لحظة ما مسؤولاً عن جسمي، مسؤولا عن عرقي، عن أجداي. نظرت إلى ذاتي نظرة موضوعية، أكتشف سوادي، سماتي الأثنية، وكانت تخترق أذني تلك الكلمات، آكل لحم البشر، والتخلف العقلي، الفيتشية، العيوب العرقية، تُجار العبيد [٤]**.

وعلي المستوي السياسي: كانت أفكار "هيجل" تؤلف تمهيداً فكرياً لحركة الاستعمار الأوروبي في أفريقيا[5]، لأنه لما كان المبدأ الجوهري للرق أو العبودية هو ألاّ يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة عدم الوعي بحريته، وهذا

---

1 ()هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) ،ص١٧٣،١٧٤،١٧٨

2 () المصدر نفسه،ص١٧٤

3 () هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) ،تعليق المترجم، ص ١٧٨.

٤ () فرانز فانون :بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ١٢١ .

5 ()هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) ،تعليق المترجم ،ص١٧٤.

الأمر هو السمة التي ألصقها "هيجل" بالزنوج ؛فبالتالي ينحدر إلى مرتبة الشيء المحض، أي يصبح موضوعا بغير قيمة. وهو ما يجعله آهلاً لفكرة العبودية.[1]

ت- **التراث الاجتماعي والأنثروبولوجي:**

كتب "ليفي شتراوس"(١٩٠٨-٢٠٠٩)[*] في كتابة الأنثروبولوجيا البنيوية يقول" ظهر مفهوم الإنسانية الشاملة التي لا تفرق بين الأعراق أو الثقافات في وقت متأخر من تاريخ الإنسان ،ولم تنتشر بشكل واسع علي وجه الأرض ..فطوال عشرات الألوف من السنين ،وبالنسبة إلى أغلبية البشر لم تكن الفكرة القائلة إن الإنسانية تشمل كل إنسان على وجه الأرض موجودة ،وكان المفهوم الإنساني يتوقف عند حدود القبيلة أو المجموعة اللغوية، وعند حدود القرية ،ودأب أولئك الآدميون الذين نسميهم "بدائيين" في أرجاء العالم على إطلاق تسمية "الناس" "الأطياب" ، "الممتازون"، "الكاملون" أحياناً على أنفسهم ،ما يتضمن أن ليس لأعضاء القبائل أو المجموعات الآخرين نصيب من الفضيلة أو الطبيعة الإنسانية".[٢]

ويتضح من النص أن فكرة الإنسانية لم تكن عامة وشاملة في التاريخ الإنساني، فكانت كل حضارة ترى من سواها يدخل في دائرة البربر أو غير المتحضرين، ويمكن أن نرى هذه الفكرة بوضوح في تاريخ الأسود، الذي كان في معظم الأحيان خارج النطاق الحضاري والإنساني.

فمن ناحية ساهمت النظريات التطورية في تشويه صورة الأسود حين جعلته

---

1 () مونيس بخضرة، هيجل وأفريقيا في نقد ضحالة الوعي الاستعماري، مجلة الاستغراب، صيف ،٢٠١٨، ص١٦١.

(*)"ليفي شتراوس"(١٩٠٨-٢٠٠٩): عالم أنثروبولوجيا اجتماعية فرنسي ومن رواد البنيوية، وهو اسم ينطبق على تحليل الأنظمة الثقافية (مثل أنظمة القرابة والأنظمة الأسطورية) من حيث العلاقات الهيكلية بين عناصرها. وأهم مؤلفاته :مدارات حزينة،(١٩٥٥)، الانتروبولوجيا البنيوية(١٩٥٨).

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Claude Lévi-Strauss". Encyclopedia Britannica, 5 Oct. 2023, https://www.britannica.com/biography/Claude-Levi-Strauss. Accessed 7 October 2023.

٢() كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفي صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق،١٩٧٧.

عن : رجا بهلول: خطاب الكرامة وحقوق الإنسان، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، ص ٢٠١٧،ص ٢٩،٣٠

مثـالاً للتطـور البطـيء مـن القـرد إلـى الإنسـان [1]، فقيـل إن الزنجـي كـان يصـل القـرد بالإنسـان _قاصـدا بالإنسـان الإنسـان الأبـيض بـالطبع_ أو أن ننظـر إلـى النظريـة القائلـة أن الإنسـان الأسـود قـد يكـون أدنـي مـن الأنسـان الأبـيض أو أنـه آت مـن طائفـة مختلفـة ،لـيس ذلـك فحسـب بـل يـذكر "فـانون" سـاخراً أن تلـك النظريـات ربطـت بـين التـراث الـديني والاجتمـاعي فأصـبح التميـز لـيس تميـزاً فـي الحيـاة الـدنيا فقـط ولكنـه قـد يمتـد إلـى السـماء، "حينئـذ يجـد السـكان الأصـليين انفسـهم فـي السـماء منقـادين بواسـطة أصـحاب البشـرة البيضـاء، وهنـاك مـن يقـول :" نحـن الشـعب المختـار، انظـر إلـى جلودنـا ،وهنـاك آخـرون جلـودهم سـود أو صـفر بسـبب خطاياهم" [2].

ومـن جانـب آخـر سـاهمت الدراسـات الاجتماعيـة والأنثروبولوجيـة فـي تحقيـر الإنسـان الأسـود واعتبـاره فـي رتبـة اقـل مـن الإنسـان، ونتيجـة لـذلك كانـت اللغـة التـي يسـتخدمها الأبـيض خاصـة فـي المسـتعمرات للتعامـل مـع الأسـود لا تخلـو مـن الإشـارة إليـه باعتبـاره حيوانـاً، ويشـرح "فـانون" هـذا الأمـر فيقـول" انظـر إلـى هـذه اللغـة التـي يتكلمهـا المسـتعمِر حـين يـتكلم عـن المسـتعمَر، تجـد أنهـا اللغـة المسـتعملة فـي وصـف الحيوانـات: انهـم يسـتعملون هـذه التعـابير: زحـف العـرق الأصـفر، أرواث المدينة الأصلية قطعان الأهالي، تفريخ السكان، تنمل الجماهير. [٣]

ولكـن فـانون يؤيـد قـول "سـير آلان بيرنـز" [*] الـذي يعلـن فيـه صـراحة أن : " لـيس التعصـب إزاء اللـون بشـيء أخـر سـوى حقـدً أعمـي يكنـه عـرق لعـرق أخـر، احتقـار الشـعوب القويـة والغنيـة للشـعوب التـي تعتبرهـا أدنـي منهـا، ثـم الشـعور المريـر

(1) فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء: ص١٩.
2 ()المصدر نفسه، ص٣٣
٣ () فرانز فانون: معذبو الأرض ، ص٢٤ .
(*) سير آلان بيرنز Sir Alan Burns (١٨٨٧ - ١٩٨٠) كان موظفًا حكوميًا بريطانيًا ترقى ليصبح حاكمًا لعدة مستعمرات. كما ألف عددًا من الكتب حول السياسة والتاريخ، بما في ذلك كتاب حول ما أسماه "التحيز اللوني" Colour Prejudice"، والذي انتقد فيه هذه الممارسة. وشرح في مقدمته المشكلات التي تعاني منها الزنوج بصفة عامة تحت الحكم الاستعماري، ولكنه أكد علي المشكلات التي تواجه فئة الزنوج المتعلمين من الأفارقة ومن سكان الهند الغربية، ويرى سير "آلان بيرنز" أن المشكلة الرئيسة لدى هذه الفئة كيفية حصولهم من العالم الأبيض على الاعتراف بالمساواة الاجتماعية والسياسية التي حرموا منها .
<< Burns, A.: Colour prejudice, with particular reference to the relationship between whites and Negroes. G. Allen & Unwin, London,1948, p:13,16.>>

لـدى هـؤلاء المُكـرهين علــى الإذعــان، والــذين تلحـق بهـم المهانــة، بمــا أن اللــون هــو علامــة العـرق الخارجيــة الأشـد بـروزاً ، فقـد صــار المعيــار الــذي مــن زاويتــه يُحكــم علــى النـــاس بصـــرف النظـــر عـــن مكاســـبهم التربويـــة و مكتســـباتهم الاجتماعيـــة ، فـــالأعراق ذات اللـــون الفـــاتح بلـــغ بهـــا الأمـــر أن تحتقـــر الأعـــراق ذات اللـــون الداكن". [1].

ث- **التراث الأدبي والسينمائي:**

لـم يكـن التـراث الأدبــي بعيـداً عـن نشـر الصـور الدونيـة للإنسـان الأسـود، لأنـه لـن يبتعـد عـن كونـه تصـوير للفكـر والثقافـة السـائدة فـي المجتمـع، ففـي جـزر الأنتيـل مـوطن "فـانون" الأصـلي يـروى لنـا أن الطـلاب السـود منـذ نعومـة أظـافرهم يطـالعون قصصـاً تجعـل مـن الرجـل الأسـود رمـزاً للقـوى الشـريرة".[2]، وأيضـاً يتحـدث "فـانون" عــن المجــلات المصــورة التــي تقــدم للأطفــال " حكايــات طــرازان ،مغــامرات ميكــي مــاوس"، وكــل الجرائــد المصــورة، تنــزع إلــى تــرويج للعدائيــة الجماعيــة، إنهــا جرائــد كتبهــا الرجــل الأبــيض لمخاطبــة صــغار البــيض، ولكــن الخطــورة حــين تــروج هــذه المصــورات بــين البــيض أنفســهم وفــي المســتعمرات التــي يتهافــت شــبانها علــى تلــك المصـــورات، فنـــرى علـــي الـــدوام تمثيـــل الـــذئب، الشـــيطان، الجـــن اللعـــين، الشـــر، المتـوحش بزنجـي أو هنـدي، العجيـب فـي الأمـر أن هـذا التصـوير لا يـؤثر ويبعـث الخوف في نفوس البيض فحسب، بل في صغار السود أنفسهم[3].

لقـد كــان علــى الزنجــي، شــاء ذلــك أم آبــى، أن يــؤدي دور الخــادم الــذي حـددوه لـه، انظـروا الرسـوم الموضـوعة للأطفـال علـى فـم كـل الزنـوج عبـارة : " نعـم سـيدي " فــي السـينما التــاريخ الأكثــر غرابــة، فمعظــم الأفــلام الأمريكيــة المدبلجــة فــي فرنسا تُعاود إنتاج الزنوج بهذه الصورة [4].(*)

---

(1) فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص١٢٦.

2 () دافيد كوت: فرانز فانون، ص ١١.

3 () فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء،ص١٥٨.

4() المصدر نفسه ،ص٣٧.

(*)إذا كان التراث الأدبي والفني قد ساهم بالفعل في رسم صورة للأسود باعتباره الخادم أو العبد أو الشخص ذا القدرات العقلية المحدودة ، فهذا الأمر بدأ في التغير والدليل على ذلك يمكن أن نراه في الإنتاج السينيمائي الحديث لأفلام الرسوم المتحركة، إذ تحرص على إضافة أطفال من أصحاب البشرة السوداء في وسط الفيلم بشخصيات

وعلـــى الجانـــب الآخـــر يـــرى "فـــانون" أن التـــراث الأدبـــي قـــد امـــتلأ أيضـــاً بصـــرخات السـود التـي تصـور معانـاتهم وتصـوير شـعورهم بالدونيـة، وإلصـاق فكـرة اللعنـة بهـم، تنـادى بحقهـم فـي الإنسـانية، واستشـهد بإحـدى المسـرحيات الإسـبانية بعنـوان: "الرجـل الأسـود الشـجاع فـي فلانـدرز"، واسـتعان بالأبيـات الشـعرية التـي أتـت علـى لسـان بطـل المسـرحية الزنجـي "جـوان دمريـدا"[**]، ودلـل مـن خلالهـا علـى مشاعر النقص التي يشعر به الزنجي فيقول:

"أية إهانة في أن يكون المرء أسود

في هذا العالم!

أليس السُّود

بشراً؟

ألهذا لهم نفس أرذل، أدني،

أبشع؟

ولهذا تُضفي عليهم ألقاب

أنهضُ مُثقلاً بإهانة

وأدوار مختلفة حتي تغرس في المجتمع أفكار المساواة، بل علي العكس أحياناً ما تعكس هذه الأفلام طبيعة الواقع السياسي فعلى سبيل المثال مثل فيلم"The Polar Express ".كانت الفتاة القائدة فتاة سمراء بشعر مجعد في الوقت التي كانت فيه " كونداليزا رايسCondoleezza Rice" هي وزيرة خارجية الولايات المتحدة ، وهذا إن برهن على شيء، فهو يبرهن على أن السينما هي انعكاس للواقع المعيش.

ولكن في بعض الأحيان نرى تطرفا لهذه النزعة السوداء، من خلال المحاولات التي يتزعمها أصحاب ما يعرف باسم "الحركة المركزية الإفريقية Afrocentrism" لإحياء التراث الثقافي الأفريقي، ونرى ذلك بوضوح الآن في محاولات إنتاج أفلام يكون أبطالها أصحاب بشرة سمراء مخالفة للواقع التاريخي مثل ما حدث مؤخرا في إنتاج فيلم عن كليوبترا الملكة المصرية البطلمية في صورة امرأة ذات بشرة سمراء. (الباحثة)

[**] "جون دي مريدا" هو بطل المسرحية الإسبانية "الرجل الأسود الشجاع في فلاندرز"(The Valiant Black Man in Flanders / El valiente negro en Flandes) للكاتب الإسباني "اندريه دي كلارمونت " Andre de Claramunte(١٥٦٠-١٦٢٦) ، وهي مسرحية تعالج فكرة العنصرية ضد السود ،من خلال شخصية "جون دي مريدا"الجندي الإسباني من أصل أفريقي الذي يطمح في التقدم الاجتماعي في هولندا خلال حرب الثمانين عامًا (١٥٦٦-١٦٤٨). أعداؤه الرئيسيون ليسوا المتمردين الهولنديين، بل أبناء وطنه البيض، الذين يهزمهم في كل محاولة لإذلاله. كان "فانون" قد اتخذ من هذه الشخصية مثال على الأثر السيء الذي أحدثه الاستعمار في نفسية الرجل الأسود، إذ رأي "فانون" في "جون دمريدا" نموذج الرجل الذي يحاول تجنب لعنة كونه أسود.

<<Cp.;Andrés de Claramonte: The Valiant Black Man in Flanders, ,trans.by: Nelson López, Liverpool University Press, First published 2023, Introduction.>>

لوني

وأؤكد للعالم شجاعتي

هل هناك ما هو أسوء من أن يكون المرء أسود!؟

"ما نعني أن يكون أسود إذن؟

هل الوجود هو من هذا اللون؟

سأشكو من الإهانة للقدر،

للزمان، للسماء

ولكل هؤلاء الذين جعلوني أسود!

آه يا لعنة اللون"[1]

من خلال ما سبق يمكن لنا أن نرى كيف تكاتفت عناصر التراث الإنسان سواء الديني والفلسفي، والاجتماعي والأدبي على رسم صورة دونية للإنسان الأسود، ترسخت في الأذهان فتحولت إلى ماهية مسبقة يُصدر من خلالها الحكم على كل أسود بأنه شيطان، ملعون، نصف إنسان، إنسان الغرائز، الوحشي، والخادم الواجب عليه طاعة سيده.

فهل يمكن للإنسان الأسود أن يتخطى هذه الموروثات، ويحطم تلك الأفكار، ويسترد وجوده، ويصنع ماهيته الحقيقية؟

ثالثاً: مشروع استرداد الوجود عند "فانون":

أ. **بين الناظر والمنظور:**

"هنا يقف رجال سود، ينظرون إلينا، وأتمنَّى أن تشعر –مثلي–بصدمة أن تكون منظوراً. لثلاثة آلاف عام، تمتَّع البيض بامتياز أن يكونوا ناظرين، دون أن يكونوا منظورين" (*)(٢)

في كتاب "سارتر" الوجود والعدم" تحدث سارتر عن مفهوم "النظرة"

1 () فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء،ص٢٢٨.

(*)Here are black men standing, looking at us, and I hope that you—like me—will feel the shock of being seen. For three thousand years, the white man has enjoyed the privilege of seeing without being seen>

(2)Sartre, J.P.: "Black Orpheus, P: 13.

باعتبارها الوسيلة التي يمكن من خلالها اكتشاف الآخر، ويفسر "سارتر" هذا الأمر فيقول: "بالنسبة إلى كل إنسان حي تكون الآنية حاضرة أو غائبة على أساس من الحضور الحقيقي، وهذا الحضور الحقيقي لا يمكن أن يكون له إلا معنى من اثنين : إما أن " يكون –ناظراً a being–looking–at " وفيه من خلال نظرتك للآخر تشعر انك اكتشفت وجوداً آخر وسط عالمك وعلى مسافة منك، ولكن هذا الوجود يختلف عن وجود الأشياء، لأنه يثير فيك بعض الانفعالات التي لا تشعر بها مع الأشياء، لأنها ترتبط دائماً بأن المرء "يُرى"، وهذه الانفعالات مثل الخجل والخوف والقلق والغضب والكبرياء، [١].هذه الانفعالات تكشف عن الآخر باعتباره ذاتاً حرةً عينيةً واعيةً تجعل العالم موجوداً، وأعرف أن هذه الذات هي شرط ضروري لكل فكرة أحاول أن أكونها عن نفسي[٢].

والمعني الثاني هو أن " تكون منظوراً a being looked–at"، فكل نظرة موجهة لي من الآخر تكشف عن انبثاق علاقة ذات طابع خاص أحد حدودها هو الأنا من حيث إنه لذاته، والحد الآخر منه لا يزال هو الأنا لكنه خارج متناولي، وخارج عملي، وخارج معرفتي [٣].

كان "سارتر" قد استخدم فكرة "النظرة" ليكشف بها عن وجود الآخر استخداماً جديداً ومبتكراً، فقبل "سارتر" كان "الأنا " باعتباره الموجود الإيجابي الفعال هو الذي يعرف " الآخر"، ولكن "سارتر" جعل الآخر هو الذي يراني، ويجتذبني إلى مداره، ونتيجة لذلك فأنا لم أعد أملك إزاءه أي حرية [٤].

ويستخدم "سارتر" تلك الفكرة مرة أخري في محاولة التعبير عن العلاقة بين الأبيض والأسود، ففي مقالة "أورفيوس الأسود" كتب "سارتر" يقول: "هنا يقف رجال سود، ينظرون إلينا، وأتمنَّى أن تشعر –مثلي–بصدمة أن تكون منظوراً.

(١) جان بول سارتر: الوجود والعدم: ص ٤٣٨.
(٢) المصدر نفسه: ص ٤٥٣.
(٣) المصدر نفسه: ص ٤٤٩.
(٤) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت ص ١٧٢.

لثلاثة آلاف عام، تمتَّع البيض بامتياز أن يكونوا ناظرين، دون أن يكنوا منظورين"[1]، لقد استخدم "سارتر" فكرة الناظر والمنظور في توضيحه للعلاقة بين الأبيض والأسود، فهو يرى أن الأبيض الأوروبي عاش لقرون هو الناظر إلى الأسود، شعر بوجوده فهو ليس شيئاً، وبالتالي فوجوده يهددني، ولذا حاول دائماً أن يجعل ذلك الوجود منتقصاً، فحاول باستماتة أن يجعله ساكناً، ويضفي عليه السمة الشيئية. حقيقة الأمر كان الأسود أشبه بمن عُصبت عينيه ولم يعد يقوى على النظر، والآن وقد زالت تلك العُصبة، وانفتحت عينيه، فتبدلت الأدوار، وصار الناظر منظوراً والمنظور ناظراً، وأدرك الأسود وجوده وحريته، وبدأ ينظر إلى الأبيض نظرة تهدد وجوده، عبر عنها "سارتر" بقوله:" أن تلك العيون السوداء أصبحت تنفينا"[*]، ومع تبادل النظرات ظهرت فكرة الصراع كسمة أساسية بين الحريتين، وأصبح كل منهما يحاول أن يسعى لانتزاع وجوده من براثن الآخر.

وقد عبر "فانون" عن المعنى نفسه فنراه يقول:" كنت قد جئت إلى العالم تملؤني الإرادة في العثور على معنى للأشياء، فنفسي مفعمة برغبة أن أكون في أصل العالم، وها أندا أكتشف أنني غرض وسط أغراض أخرى.... أستنجد بالآخر، وأنا محبوس في هذه الموضوعية الماحقة، كان انتباههم ونظرتهم إليَّ تحررنني، تجعلني أعلو فوق جسدي تمنحني رشاقة وخفة كنت أظنها ضائعة، كان حيناً يغيبني عن العالم، يُعديني إليه. لكن هناك على الجانب الآخر كان الآخر بحركاته، بمواقفه، بنظراته، يثبتني كتثبت لون بصبغة كيميائية...كنت أستشيط غضباً. أطلب تفسيراً!؛ فلا أجده. كُنت أنفجر، وتتناثر أشلائي كقطع صغيرة. والآن تم تجميع تلك الأشلاء معًا مرة أخرى بواسطة ذات أخرى"[*][1].

---

(1)Sartre, J.P.: "Black Orpheus, P:13.

(*)"those black eyes exile us"

<<Cp. Sartre, J.P.: "Black Orpheus,p: 14>>

(*)I came into the world imbued with the will to find a meaning in things. My spirit filled with the desire to attain to the source of the world, and then I found that I was an object in the midst of other object Sealed into that crushing objecthood, I turned beseechingly to others. Their attention was a liberation, running over my body suddenly abraded into nonbeing, endowing me once more with an agility that I had thought lost, and by taking me out of the world, restoring me to it. But just as I reached the other side, I stumbled,

حاولت أن اقرأ في عيني الآخر الإعجاب ولو أن الآخر لسوء الحظ أرسل إليَّ صورة سيئة. إن كل ما أريده أن أقرأ في عيني الآخر صورة أنا تُرضيني" (٢)(**)

لقد أدرك "فانون" تلك العلاقة بين الناظر والمنظور، وأدرك كيف تمنح هذه النظرة الوجود وكيف تسلبه إذ يرى أن "الإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما يفرض نفسه على إنسان آخر بهدف الاعتراف به، وإذا لم يكن هنالك اعتراف حقيقي من قبل الآخر، فإنّ هذا الآخر سيبقى موضوعاً للفعل. لماذا؟ لأنّه بواسطة الآخر، وباعترافه تتوقف قيمة الإنسان وحقيقته الإنسانية.(٣) (*)،وطالما أن الآخر متردد في الاعتراف بي ،فلم يبق لي سوى حل واحد: سأجعله

---

and the movements, the attitudes, the glances of the other fixed me there, in the sense in which a chemical solution is fixed by a dye. I was indignant; I demanded an explanation. Nothing happened burst apart. Now the fragments have been put together again by another self.

<<Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks :P: 109>>

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٥.

(**) نجد المعنى نفسه متجسداً في رواية "الرجل اللامرئي" لرالف اليسون" إذ يستهل روايته بهذه العبارة:" أنا إنسان غير مرئي. كلا لست شبحاً من تلك الأشباح التي تسكن "إدغار ألن بو" ،أنا إنسان ملموس ،من لحم وعظام ،وأنسجة وسوائل_ ويمكن القول إنني أمتلك عقلاً_.أنا غير مرئي ،أتفهم، لمجرد أن الناس يرفضون أن يروني ،وكالرؤوس التي بلا أجساد التي تراها أحياناً في العروض الثانوية في السيرك ،أبدو كأنني محاط بمرايا من زجاج قاسٍ ،ومشوه. عندما يقتربون مني لا يرون إلا ما يحيط بي، أي أنفسهم، أو قِطعاً من مخيلاتهم _في الحقيقة أنهم يرون كل شيء وأي شيء إلا أنا. كوني غير مرئي لا يعود إلى حادث كيميائي حيوي وقع لبشرتي. إن هذا النوع من الاختفاء يحدث بسبب حَوَلٍ من نوع معين يحدث لعيون الذين اتصل بهم .إنها مسألة تتعلق بتكوين عيونهم الداخلية....أنا لا أتذمر، ولا احتج .فمن التميز ألا تكون مرئياً على الرغم من انه يرهق الأعصاب. ودائماً ما يرتطم بك أصحاب النظر الضعيف، أو ينتابك الشك في أنك موجود حقاً. تتساءل ما إذا كنت مجرد شبح في أذهان الآخرين.... عندما تشعر بذلك وبدافع الاستياء تبدأ ترتطم بدورك بالناس. ودعني أعترف لك أنك تشعر هكذا في أغلب الأحيان. تتوجع من شدة الحاجة إلى إقناع نفسك بانك موجود حقاً في العالم الواقعي، بأنك جزء من كل الأصوات والآلام وتضرب قبضتي يديك معا وتلعن وتسب لكي تجعلهم يرونك. ولكن للأسف نادراً ما تنجح المحاولة "

<< انظر: رالف إليسون: الرجل اللامرئي، ص ١٣>>

(٣) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص٢٣٠.

(*) يستعير فانون هذه العبارة من هيجل في كتابه "فينومينولوجيا الروح"، وربما يستعير معناها أيضاً، فالاعتراف عند هيجل لا يعني التعرف العقلي على شيء ما أو شخص ما، ولكن يصحبه الحق في أن تكون لهذا الشخص أو الشيء قيمة إيجابية، فعندما ناقش "هيجل" فكرة الصراع من أجل الاعتراف لم يكن يتعامل مع مشكلة العقول، أو الاعتراف الأبستمولوجيي في النظر إلى الآخرين على أنهم أشخاص، وحق الآخر في أن ينظر إليه باعتباره شخصاً، ولكن كان يعالج مشكلة كيف يصبح المرء شخصاً مكتملاً عن طريق ضمان اعتراف الآخر به.

<< انظر: ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، مادة:"الاعتراف"، ترجمة: أمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠،ص ٤٥٨،٤٥٩>>

يعرفني."(١)

ولكن كيف يتم انتزاع ذلك الاعتراف؟ وكيف سيُظهر الإنسان الأسود نفسه ليعرفه الأبيض؟

كانت الدراسات النفسية التي تخصص فيها "فانون" قد ساعدته على أن يحلل بشكل دقيق خفايا ما أسماه "الذات السوداء" في محاولاتها لانتزاع الاعتراف بإنسانيتها وحريتها من براثن الآخر (الحضارة البيضاء)، **والتي وان لم يشر صراحة لها ولكنها لا تبتعد كثيراً عن فكر "سارتر"(**)**، ولذلك سنحاول في هذا الجزء أن نرى محاولات الذات السوداء لاسترداد الوجود وفقاً لمفاهيم "سارتر" في كتابه "الوجود والعدم" ومقابلتها في آراء وكتابات "فانون".

ب. **محاولات استرداد الوجود الأسود:**

أولا: الوجود الأسود واللغة:

يتحدث "سارتر" في "الوجود والعدم" عن اللغة فيقول "إنني لغة"، ليتوافق مع "هايدجر" عندما قال "أنا ما أقول" مؤكداً إن اللغة ليست ظاهرة مضافة إلى الوجود للغير: بل هي أصلاً الوجود للغير، كما أنها لا يمكن أن تكون مخترعة؛ فهي ليست غريزة من غرائز المخلوقات الإنسانية المتكونة، وليست اختراعاً من

---

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص١٢٣.

(**)إن العلاقات التي تتم بين الأنا والآخر هي صور لمشروع استرداد الوجود، أو بمعنى آخر مجموعة من المحاولات التي تلجأ إليها "الأنا" للانتصار على "حرية الآخر"، وتتخذ هذه المحاولات اتجاهين أساسيين_ دون أن تعني كلمة اتجاه السبق لإحداهما عن الآخر_، ولكنهما عبارة عن رد فعل أساسي ضد الوجود - للغير كموقف أصلي:

الاتجاه الأول: هو اتجاه الأنا إلى الآخر بوصفه ذاتاً حرة تؤسس "وجودي_في_ذاته"، وأحاول أن استولي على هذه الحرية دون أن اجعل الآخر يفقد حريته، وبهذا أكون أساساً لنفسي كما في الحب واللغة، أما الاتجاه الثاني: فهو" اتجاه الأنا للبحث عن حرية الغير من خلال الموضوع "عن طريق إنكار هذا الوجود الذي يضفيه عليٌ الآخر من الخارج أي بمعنى آخر: أن أستدير نحو الآخر كي أُضفي عليه الموضوعية. إن الأنا أو الذات في هذا الاتجاه تسعي إلى انتقاص حرية الآخر وخفضها إلى مجرد جسد، أو بعبارة أخري تسعي الأنا إلى إيقاع الآخر في شرك هو جسد الآخر وليس جسده هو أي جسد الأنا، وأبرز صور هذا الاتجاه هي الرغبة الجنسية والكراهية والسادية.

والتقارب هنا نراه في ترتيب فصول كتاب "فانون" "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" فعلى سبيل المثال نراه يخصص الفصل الأول عن اللغة، والثاني والثالث عن العلاقة بين المرأة الملونة أو السوداء والرجل الأبيض، ثم يناقش العلاقة بين الرجل الأسود والمرأة البيضاء، وفي داخلهما يناقش قضية الحب والرغبة الجنسية، ثم يخصص الفصل الرابع لعقدة التبعية والتي تقابل المازوخية، ثم يناقش فكرة السادية ويستكمل الفكرة في كتابه "معذبو الأرض"، والذي يناقش فيه فكرة العنف، والعنف المضاد كطريقة لتأكيد الوجود الأسود.

<< انظر: حبيب الشاروني: فلسفة جان بول سارتر، ص ١٨٣،١٨٤،فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٣>>

ذاتيتنا، ولكنها تؤلف جزءاً من حال الإنسان، وهي أصلاً التجربة التي يمكن ما هو لذاته أن يقوم بها لوجوده للغير. (١)

والمعني ذاته نراه عند "فانون" حين يقول " إننا نعلق أهمية أساسية على ظاهرة اللغة، ولذلك من الضروري إجراء هذه الدراسة التي يُفترض بها أن تتمكن من تزويدنا بعنصر من عناصر فهم الإنسان الملون في بُعد يظهر عليه للآخر، إذ من المتفق عليه أن الكلام فعل وجود مطلق في نظر الآخر"(٢).

يرى "فانون" أن كل إنسان يمتلك اللغة يحوز في المقابل على العالم المُعبر عنه والمتضمن في هذه اللغة، فمن خلال اللغة يستطيع التعبير عن نفسه وعن وجوده، ولذلك حاول "فانون" من خلال تجاربه الحية أن يرصد كيف تكون اللغة أحد العوامل التي يمكن من خلالها أن يحصل الإنسان الأسود علي وجوده فيطرح القضية التالية: "لماذا يحب الآنتيلي(*) أن يجيد الفرنسية؟" هل سيقترب الأسود-الانتيلي- من "الإنسان الحقيقي" بقدر ما يمتلك ناصية اللغة؟ (٣)

إن فانون يرصد لنا كيف أدرك المستعمر دور اللغة في تحقيق الوجود، ولذلك اتخذ إجراءات احترازية نحوها، فمن جانب حرص المستعمِر على إحلال لغته بدلاً من اللغات الأصلية، وبالإضافة إلى هذا الإحلال أوجد شكلاً من أشكال الازدواجية في اللغة، فأصبح هناك مثلاً نوعان من الفرنسية: الفرنسية العامية: تلك التي يتحدث بها العامة وكافة الطبقات الفقيرة، والنوع الثاني هو الفرنسية الأصلية أو الفصحى التي يتكلمها المستعمِر نفسه، وهنا يظهر الفرق بين شخصين بناء على اللغة التي يتحدث بها، أو اللغة التي يتم التحدُث بها إليه.

يستكمل "فانون" تحليله فيقول انه من خلال رصده للعديد من الحالات وجد أن اللغة التي كان الإنسان الأبيض يتحدث بها مع الأسود هي لغة "فرنسية

(١) جان بول سارتر :الوجود والعدم ، ص:٦٠١_٦٠٢.
(٢) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص١٩
(*) في المصدر يتحدث فانون عن الأسود الأنتيلي، ولكنه يذكر انه إذا كان طرح السؤال مخصصاً للأسود في جزر الأنتيل إلا انه كان قاصداً أن يأخذه كنقطة بداية ينطلق منها لتطبيق الفكرة على كل اسود وكل مستعمَر (الباحثة)
(٣) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص١٩،٢٩.

رديئة "، ليس ذلك فحسب، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه إذا رأيت إنسان أبيض يخاطب زنجياً، ستشعر تماماً إنه يتحدث معه مثلما يتحدث راشد مع ولد صغير.

ويوضح لنا "فانون" خطورة هذا الأمر فيرى أن التحدث مع زنجي بلغة فرنسية رديئة يعد أمراً مُهيناً؛ فهو يعني إدامة الوضع الصراعي بين الأبيض الأسود، فتلك اللغة تُعد ترجمة لفكرة الأبيض عن الأسود: **"أنت، ابق حيث أنت"**، وكأن الأبيض يريد أن يظل في حبس الأسود وتوحيشه، وتصويره دائماً في خارج النطاق الحضاري، وأيضاً يجعله دائماً يشعر بأنه ضحية لماهية، ظاهراً لم يكن مسؤولاً عنه.(*) (١)

ومن الجانب الآخر يرصد "فانون" صورة الإنسان الأسود وقد تمكن من اللغة؛ فأصبح يُشكل خطراً وتهديداً على الوجود الأبيض، وقد أدرك الأبيض خطورة الأمر وعبر عنه في موروثاته، وها هي حجة قديمة على لسان الإقطاعي الأبيض في أفريقيا مفادها: "إن عدونا هو المُعلم (**)،فهو من يساهم في أن يخرج هؤلاء السود عن السيطرة ،وليس هناك ما يثير الغضب اكثر من سماع تلك العبارة " إنك/انتم _ تتكلم الفرنسية بشكل جيد" ، ولا شيء أكثر إثارة من كون إنسان أسود يعبر عن نفسه بشكل صحيح ،لأنه أصبح يستوعب حقاً العالم الأبيض، وها هو من تمكن من اللغة يشرح ويُخبر ويعلق ،لقد صار يواكب العصر، إن أعين البيض تترصده الآن وتنظر إليه وتخشاه، ولسان حالهم يقول: "إنه يحسن التعبير بالفرنسية. يجب الحذر منه، فهو الآن صورة طبق الأصل للأبيض ويجب الانحناء أمامه".(٢)

لقد أدرك الأسود أهمية اللغة ودورها في تأكيد الوجود، وأدرك أن اللغة

(*)To make him talk pidgin is to fasten him to the effigy of him, to snare him, to imprison him, the eternal victim of an essence, of an appearance for which he is not responsible.

<<Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks :p: 35>>

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص٣٤-٣٧.

(**)"And then too there is that bludgeon argument of the plantation-owner in Africa: Our enemy is the teacher"

<< Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks :p: 35>>

(٢) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص٣٩،٣٨

هـي المفتـاح الكفيـل بفـتح الأبـواب التـي كانـت مغلقـة فـي وجهـه لعقـود سـابقة، إنهـا الوسـيلة التــي يمكــن مــن خلالهــا أن يبــرهن الأســود علــى قدرتــه علــى الملاءمــة الثقافية، وتمنحه حق المواطنة. (١)

وتتطــور هــذه القــدرة حتــى يســتطيع الإنســان الأســود أن يقــرض شــعراً، يتحـدث عنـه الجميـع، ويجعـل "سـارتر" نفسـه يتسـاءل:" لمـاذا يعـد الشـعر الأسـود(*) فـي اللغـة الفرنسـية فـي عصـرنا هـو الشـعر الثـوري الوحيـد العظـيم؟، ويجيـب قـائلاً:" أود أن أبـين أن هـذا الشـعر –الـذي يبـدو عرقيًـا فـي البدايـة –هـو فـي الواقـع ترنيمـة مــن قبــل الجميــع للجميع...انــه لــيس شــعراً ســاخراً ولا غيــر لائــق، ولكنــه "إيقــاظ للوعي it is an awakening to consciousness ".(٢)

لقــد رأى "ســارتر" إن الفكــرة الرئيســة التــي يــدور حولهــا هــذا الشــعر هــو كشــف الــروح الســوداء، ولأهميتــه لقبــه "ســارتر بأنــه "كالإنجيــل" فيقــول: "الشــعر الأسود إنجيلي، إنه يعلن بشرى سارة: لقد أعيد اكتشاف السود(*).(٣)(**)

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

(**) الشعر الأسود يقصد به "سارتر" الشعر الذي كتبه أصحاب البشرة السوداء مُعبرين فيه عن قدرتهم عن امتلاك اللغة، وقدرتهم في التعبير عن حالة الأسود ومعاناته، ومن أشهرهم الشاعر السنغالي " ليوبولد سيدار سنغور"، المارتينيكي الفرنسي "إيمي سيزير" ، فهؤلاء من الشعراء الذين كانوا يمثل طفرة في الأوساط الثقافية الفرنسية.

كان "سارتر" قد وصف إيمي سيزير بـ"أورفيوس الأسود"، ووصف شعره بأنّه "الانحدار الدؤوب للزنجي نحو أعماقه". وكان "سارتر" قد تعرف خلال رحلته إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٥على عالم السود والمهمشين الذين يمثلون "أميركا الأخرى"، واكتشف ثراء إنتاجاتهم الأدبية والفنية، ونضالهم لنيل حريتهم، كما فهم باكراً أنّ إيمي سيزير هو "أورفيوس" الذي يطالب بعودة "يورديس" من ظلمة "بلوتو"، إله العالم السفلي.

<< انظر: بثينة الزغلامي: إيمي سيزير.. شمس الزنوجة المتوهجة، شبكة الميدان ،٢٩ /٠٦/ ٢٠٢٣
https://www.almayadeen.net/arts-culture/%D8%A5%D9%8A%D9%85%D9%8A-%D8%B3%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%B4%D9%85%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%86%D9%88%D8%AC%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D9%88%D9%87%D8%AC%D8%A9>>

(2)Sartre, J. P.: "Black Orpheus,P:46.

(*) There is a single idea: reveal the black soul. Black poetry is evangelic, it announces good news: Blackness has been rediscovered.

(3)Sartre, J. P.: "Black Orpheus,p:20

(**) بالرغم من امتداح "سارتر" للشعر الأسود إلا أن "فانون" اختلف معه في تقيمه لهذا الشعر، بل إنه وجد أن النظرة التي نظرها "سارتر" الشعر الأسود نظرة لاتُغتفر؛ فكتب يقول لأصدقائه: "تلقي جيل الشعراء السود الشبان ضربة لا تغتفر"، لقد حاول سارتر أن يمضي نحو مصدر الشعر السود، ولكنه بنظرته قد عزم على تجفيف المصدر حين كتب يقول: "هل سينضب مصدر الشعر؟ أم سيلوّن النهر الأسود العظيم البحر الذي يتدفق إليه؟ لا يهم: لكل عصر شعره، ففي كل عصر تختار ظروف التاريخ أمة، طبقة، لتستأنف الشعلة، خالقة أحوالاً لا تستطيع التعبير عن نفسها أو أن تتجاوزها إلا بالشعر، فتارة تتطابق البارقة الشاعرية مع البارقة الثورية، وتارة تتفارقان، دعونا نستقبل

لقد مثل الشعر بالنسبة لفانون طريقة بل سلاحاً استطاع من خلاله أن ينتزع من الآخر الاعتراف به وبإنسانيته فنراه يقول:" ها هو الزنجي مستعيداً أهليته، ممسكاً بمقبض الدفة، يقود العالم بحدسه. إنه الزنجي المُستعاد، المُستجمع ،المطلوب ،المسؤول، وهو زنجي، لا ،إنه ليس زنجيا البته، بل هو **الزنجي**، يقف في المقدمة الأولي لمسرح العالم ،يغدق على العالم بقوته الشعرية، يحاول أن يعانق العالم. إني أعانق العالم! أنا العالم! الأبيض يريد العالم له وحده فقط. يكتشف أنه هو السيّد، هذا العالم المهيأ سلفاً فيستعبده. تقوم علاقة امتلاكية بينه وبين العالم....كساحر أنتزع من الأبيض "عالماً ضائعاً بالنسبة إليه وإلى بني لونه. هذا اليوم، كان على الإنسان الأبيض الشعور بصدمة لم يستطع تحديدها...شعر الأبيض شعوراً حاداً بأني كنت أفلت منه، وأنني آخذ معي شيئاً ما ..فراح يفتش جيوبي...أملاً في أن يجد شيئاً. كان واضحاً أني كنت أحمل سراً. جرى استجوابي، ابتعدت بغموض ودمدمت(١)....جعلت من نفسي "**شاعر العالم**"، كان الأبيض قد اكتشف شعراً لم يكن فيه شيء شاعري.....أخيراً جرى الاعتراف بي، ولم أعد عدماً" (*)(٢)

اليوم بالترحاب تلك لفرصة التاريخية التي ستسمح للسود بأن يُطلقوا "من شدّةٍ كهذه صرخة زنجية كبرى، ستتزعزع بسببها أسس العالم"

لقد وضع "سارتر" الشعر الثوري الأسود كمرحلة في الصيرورة التاريخية. مرحلة مقدرة سلفاً، وتوافقت مع أحوال الزنجي " إذاً فليس أنا الذي خلق لنفسي معنىً، بل المعنى هو الذي كان هناك، سابق الوجود وينتظرني، فأنا لا أصنع من بؤسي كزنجي سيء، ومن أسناني كزنجي سيء، ومن جوعي كزنجي سيء، أنموذجاً لشعلة، أضع فيها النار حتي تحرق العالم، بل كانت هذه الشعلة تنتظر هذه الفرصة التاريخية. لقد خالف سارتر مبدأه، وجعل الماهية موجودة مسبقاً.

لقد كان "فانون" على حق فسارتر أيضاً وقع في نفس الخطأ، وافترض ماهية مسبقة وجعل كفاح الزنجي مرحلة تاريخية، وكأنه فجأة تنازل عن مبدأه، واقترب من التصورات الهيجلية، التي تجعل من محاولات الإنسان الأسود لإثبات وجوده مرحلة مقدرة سلفاً، وليست نابعة عن إرادة شخصية وكفاح وإصرار على تحقيق الوجود.(الباحثة)

<< انظر: فرانز فانون: بشرة سوداء، ص ١٤٣،١٤٤.

&Sartre, J. P.: "Black Orpheus,p:52.>>

(١) فرانز فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ١٣٦،١٣٧.

(*)I made myself the poet of the world. The white man had found a poetry in which there was nothing poetic.... At last I had been recognized, I was no longer a zero

<< Cp.: Fanon, F.: Black Skin, White Masks, p:129.>>

(٢) فرانز فانون: بشرة سوداءوأقنعة بيضاء، ص٤٥.

& Fanon, F.: Black Skin, White Masks, p:41.

ثانياً: الوجود الأسوّد والحب:

المحاولة الثانية التي تستخدمها الذات السوداء لاسترداد حريتها والتأكيد على إنسانيتها هي شعورها بأن تكون محبوبة، فالإنسان عند "فانون" هو حركة مزدوجة نحو العالم: حركة عدائية تولد الاستعباد أو الغزو، وحركة محبة ووهب للذات، وهي المآل الأخير لما أتفق على تسميته "التوجه الأخلاقي Ethical Orientation". (١)

أدرك "فانون" أهمية وخطورة الشعور بالحب في حياة الإنسان ليس من خلال دراسته وقراءاته الفلسفية فقط، ولكن من خلال عمله كطبيب نفسي، أدرك كيف يولد الحب في النفس إدراكا لذاتيتها وتأكيداً لحريتها، وفي المقابل أدرك خطورة أن يُحرم الإنسان من القدرة عن التعبير عن ذلك الحب أو يفتقد شعور أن يكون محبوباً، لقد اعترف "فانون" بعبقرية "سارتر" في توصيف الحب(٢)، حين رأى أن الحب هو "مجموع المشروعات التي استهدف بها تحقيق الاتحاد بحرية الآخر" (**) ، فإذا كانت حرية الآخر هي التي تجعل مني موضوعاً وتجعلني مكشوفاً أمام الآخر، فالأنا في الحب تسعى لامتلاك هذه الحرية، والمقصود بالامتلاك هنا ليس الامتلاك الجسدي بل هو امتلاك الحرية من حيث هي حرية، هو امتلاك الآخر من حيث هو آخر أو من حيث كونه ذاتاً ناظرة(٣).

إن جوهر الحب عند "سارتر" هو رغبتي وشروعي لأن أكون محبوباً من الآخر، ومعنى هذا هو أنني أريد أن أُبقي للأخر صفته كفاعل حر، لا أن أحيله إلى شيء، بل أن أصبح أنا شيئاً لهذا الفاعل الحر ليختارني بملء حريته. إذن فالمثل الأعلى الذي يصبو إليه من يحب هو أن يكون مختاراً بحرية من محبوبه. عندئذ يشعر بحرية الآخر، وبأنه يمتلك هذه الحرية ويشعر كذلك بأن وجوده

(١) فرانز فانون: بشرة سوداءوأقنعة بيضاء، ص١٣٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.
(**) "Love as the primitive relation to the Other is the ensemble of the projects by which I aim at reayzing this value..... to be identified with the Other's freedom"
<<Sartre, J. P.: “Being and Nothingness",P:366.>>
(٣) فؤاد كامل : الغير في فلسفة سارتر ،، دار المعارف، القاهرة، د.ت،ص٦٠.

ضروري لمن يحب، وبأن حاجة الآخر إليه تكسب حياته معني وتضفي على وجوده تبريراً، كأن غاية الحب هي استيلاء المُحب على حرية الآخر مع بقاء هذه الحرية بوصفها حرية(١).

ولكن هل سينطبق هذا التوصيف على العلاقة بين الأنا (الأسود) والآخر (الأبيض)؟ هل هناك إمكانية لوجود هذا الحب؟ إن السؤال الذي يطرحه "فانون" من خلال دراسته: "إلى أي مدي سيبقي الحب الأصيل_ بين الأسود والأبيض_ ممتنعاً ما لم نطرد الشعور بالدونية، أو الحماسة الزائدة للاقتراب من الأبيض؟

حقيقة الأمر لا يمكن لنا أن نفصل السؤال عن تعبير "فانون" نفسه عن هذا الأمر حين يقص علينا تجربته المعيشة كإنسان أسود في العالم الأبيض بنبرات يملؤها الآسي فيقول:" **بينما كنت أنسى أغفر ولا أرغب في شيء آخر سوى أن أحب، كانت رسالتي تعود إليَّ، مثل صفعة على وجهي. فالعالم الأبيض النزيه وحده كان يمنعني من كل مشاركة.....كنت أنادي العالم وكان العالم يبعدني عن حماسي، كانوا يطلبون مني أن أنزوي، وأن أنطوي وأتقلص**"(*)(٢).

وبالرغم من تلك المشاعر، إلا أن "فانون" قد آمن بإمكانية الحب؛ فنراه يقول: " **واليوم نؤمن بإمكانية الحب، ولهذا نسعى جاهدين لكي نرصد نواقصه وانحرافاته**"(٣)، وبالفعل فمن خلال تجربته الحية وتحليلاته النفسية حاول "فانون" أن يقدم لنا المشكلات التي ترتبط بالحب بين الإنسان الأسود والأبيض، وقد استعان بشخصية ."جان فينيز" بطل رواية "رجلاً مثل الآخرين Un homme

---

(١) حبيب الشاروني: فلسفة جان بول سارتر، ص ١٧٩.

(*) "While I was forgetting, forgiving, and wanting only to love, my message was flung back in my face like a slap. The white world, the only honorable one, barred me from all participation……I shouted a greeting to the world and the world slashed away my joy. I was told to stay within bounds, to go back where I belonged.

<<Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks:P: 115,114>>

(٢) فرانز فانون بشرة سوداءوأقنعة بيضاء ،ص ١٢٢،١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.

"pareil aux autresv" (*) كمثال يمكن من خلاله مناقشة مشكلة الحب. ومن خلال هذا التحليل يمكن حصر تلك المشكلات في النقاط الأربع التالية:

- **أولاً: عقدة الدونية وتبخيس الذات:** استخدم "فانون" حوار بين "جان فنيز" وفتاة بيضاء أرادت التعرف عليه (**)، وكان لايزال في مقتبل حياته ليُظهر من خلالها عقدة الدونية وما أسماه "تبخيس الذات".

وتظهر خطورة هذه الفكرة في كون هذا التبخيس للذات كموضوع جدير بالحب يكون ذا عاقبة خطيرة؛ فمن جهة يُبقي الفرد في حالة من القلق الداخلي العميق، ولهذا السبب يصد أو يزيف كل علاقة مع الغير، هو كموضوع جدير باستثارة الود والمحبة، وقد يؤدي إلى أن يشك الفرد بنفسه(١).

- **ثانياً: الانطواء والهروب:** لم يكن "فانون" يبالغ عندما وصف شعوره تجاه الآخر _العالم الأبيض_ حين رفض منه مشاعر الحب بقوله: "كانوا يطلبون مني أن

(*) "جان فينيز" :هو بطل رواية "رجل كالآخرين" للكاتب الفرنسي" رينيه ماران René Maran"(١٨٨٧-١٩٦٠)،وهو شاعر وروائي فرنسي، وأول كاتب أسود يفوز بجائزة گونكور الفرنسية عام ١٩٢١. ، وتعتبر الرواية بمثابة سيرة ذاتية للكاتب، يقص فيها قصة حياته أيضاً كإنسان أسود وسط المجتمع الأوروبي.

ويشير "فانون" في بشرة سوداء وأقنعة بيضاء "إن جان فينيز" لا يمثل تجربة عامة لعلاقات الأسود – والأبيض، إلا انه يمثل نمطاً سلوكياً لإنسان أسود يمكن من خلاله معرفة المشكلات التي قد تقع لأبناء عرقه أمام الأبيض في موقف الحب. ويؤكد أن هدفه من خلال التمثيل أن نمكن الإنسان الأسود والأبيض من لقاء سليم. فلا ينبغي تعميم موقف "فنيز"، واعتباره موقفاً عاماً للإنسان الملون.

<<انظر: فرانز فانون : بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٨٦.>>

(**) نص الحوار كالتالي:

- الفتاة: "جئت باحثة عن الدب الذي يحب العزلة "
- جان: كوني حذرة سيدتي الصغيرة من الجميل أن يكون المرء جسورا ولكنك سوف تتورطين إذا واصلت إظهار نفسك على هذا النحو.
- الفتاة: زنجي! تباً. إذ هذا لا يحسب حسابه. من الانحطاط المضي مع أي فرد كان من هذا العرق.

إن هذا الحوار رغم قصره فهو يخفي بداخله العديد من المشاعر: أولها: مشاعر "جان فينيز" نفسه الذي تقبع بداخله فكره كونه اسود وبالتالي فهو محكوم عليه بالوحدة، اختارها بنفسه قبل أن تُفرض عليه، ولذلك بادر الفتاة التي كانت تحاول التقرب منه بقوله "كوني حذره"، وكأنه ينبهها إلى مرض عضال أو عدوى قد تلحق بها لاقترابها منه.

أما الجانب الثاني فهو رد الفتاة عليه، فعبارة واحدة لخصت موروثات فكرية ومعتقدات متأصله في فكر الإنسان الأبيض، انه لكونه أسود، فهو لا قيمة له، أي علاقة بين الأبيض والأسود محكوم عليها بأنه صورة من صور الانحطاط. كل هذا المشاعر والأفكار لحصها الكاتب في حوار صغير، ولكن كان له الأثر الأكبر على مسار الرواية، فسيظل شعور "فينيز" بالدونية، والخوف والرهبة ملازما له، حتى عندما يجد من يحبه حباً حقيقياً، فستظل تلك العقدة قائماً ولن يستطيع تخطيها (الباحثة)

<< انظر: فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٧٢. >>

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٨٢.

أنـزوي، وأن أنطـوي وأتقلـص"، فمعظـم السـود يشـعرون بـذلك بالفعـل، وهـو مـا رآه فـي بطـل القصـة حـين وصـفه أصـدقاؤه "بـالمنطوي"، ولكـن "فـانون" وصـفه وصـفاً آخـر قـائلاً: "كـان إنسـاناً قلقـاً ملتصـقاً بجسـمه"(*) فـي إشـارة منـه لكونـه غيـر قـادر علـي تجاوز ذاته للتعامل مع الآخر.

ويرجـع "فـانون" ذلـك إلـى الشـعور بالارتيـاب الـدائم الـذي يقبـع بداخلـه، شـعورا مرجعـه خيباتـه الماضـية والحاضـرة، لقـد كـان يخـاف مـن الصـفعة التـي تحـدث عنهـا "فـانون"، كـان يخشـي مـن المواجهـة، ولـذلك فضـل الانطـواء والانـزواء، هـو لـم يكـن يعلـم انـه بهـذا الانسـحاب فقـد ذاتـه[١]، ولـذلك رأي "فـانون" أن الخطـوة الأولـي التـي لابـد أن يقـوم بهـا الأسـود هـي المواجهـة [٢]حتـي وان كانـت صـفعة، وقـد عبـر عن ذلك قائلاً: "جان فنيز هو الإنسان الواجب التغلب عليه". [٣]

❖ **ثالثـاً: الشـك والريبـة:** أرتقـي الزنجـي بذكائـه وعملـه الـدؤوب، إلـى تفكيـر أوروبـا وثقافتهـا، وشـعر أنـه عـاجز عـن الحيـاة دون حـب، سيحلم بـه ويبحـث عنـه، وبالفعـل يجـده فـي فتـاة بيضـاء، تتعـدى كـل الحـواجز التاريخيـة والعرقيـة وتحبـه، ولكنـه لـم يسـتطع أن يخلـص مـن عقـدة عِرْقـه ولونـه؛ فتظـل الريبـة والشـك يحاصـرانه، شـك فـي ذاتـه أولاً يظهـر فـي مجموعـة مـن التسـاؤلات: "هـل أحبهـا حقـاً؟" أم أننـي منجـذب إليهـا برغبـة اللحـم الأبـيض المحظـور علينـا؟(**) هـل سـيتوجب علـيَّ عنـدما أقتـرن بـك أنـتِ الأوروبيـة أن أعلـن كرهـي لنسـاء عِرْقـي؟، هـل ذلـك الشـعور هـو جهـد أبذلـه لأنـتقم لنفسـي مـن أوروبيـة، ومـن كـل مـا فعلـه أجـدادها بأجـدادي علـى مـدى الأجيـال؟ إنـه يشـك بقـوة، شـك وتسـاؤلات لا تنتهـي لكنهـا تنتقـل مـن الشـك فـي ذاتـه إلـى الشـك فـي محبوبتـه؛ فيبادرهـا بـذلك السـؤال:" قـولي لـي عزيزتـي، علـى الـرغم مـن لـوني، أترضين أن تصبحي زوجتي لو طلبت منك ذلك؟[٤]

(*) An anxious man who cannot escape his body.
<<Cp.:Fanon,F.: Black Skin, White Masks, P:65>>

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص٧١،٧٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٥
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٢
(**) سيتم مناقشه هذه الفكرة في الجزء الخاص بالنزعة الجنسية.
(٤) فرانز فانون:بشرة سوداء ،ص ٧٦،٨٤.

❖ **رابعاً" الخوف من الترك والهجران:** خدعة جديدة قد يلجأ لها الإنسان الأسود للهروب من الحب، فيعلن ذلك المبدأ" لن أُحِب حتى لا أُترك"....لا أريد أن أُحب. لماذا؟ لأنني ذات يوم منذ أمدٍ بعيد جداً، سعيت إلى إقامة علاقة موضوعية وتم التخلي عني"[*]، إن المحب يسعى وراء الطمأنينة يبحث عن الإذن والسماح في عيني الآخر (الأبيض)، ولما كان هذا السعي دائماً يفضي إلى الرفض والتحقير؛ فينتج عن ذلك شعور بالهجر، شعور بأنه لا مكانة له في أي مكان وأن وجوده فائض أينما حل.

إن المتروك هو إنسانٌ يطلب أن يُحبّ حباً شاملاً، ومطلقاً، وإلى الأبد. ولكن ما أن يُترك ويتم التخلي عنه، تتولد بداخله رغبة في تعذيب الآخر، ويصير التخلي هو التعبير المباشر عن نزعة انتقامية، تلك النزعة التي يستطيع من خلالها أن يُشعر الآخر بالاحتياج إليه.

و"متى صار الأمر معكوساً![*]، وأصبح المتروك تاركا، حينها فقط

(*) ""not to love in order to avoid being <u>abandoned</u>". I do not want to be loved. Why not? Because once, very long ago ,I attempted an object relation and I was *abandoned.*
<<Cp.: Fanon,F.: Black Skin, White Masks,P:67,75>>

_ مفهوم الترك أو الهجر أو التخليAbandonment :لغوياً: يقصد به "فعل ترك شخص ما أو شيء ما أو إنهاء أو إيقاف شيء ما، أو عادة ما إلي الأبد"، ونفسياً: نوع من الألم، المتخيَّل في الغالب، يزرع الخواف دائما في النفس، لدرجة تجعل الشخص مفرط الحساسية، يثق في الآخرين بصعوبة، يتخذ سلوكيات متطرفة حتى يتجنب الألم الذي يتسبب به الرفض أو الانفصال عن الآخرين للدرجة التي قد تمنعه في الأساس من تكوين أي علاقات أو صداقات عميقة، وغالبًا ما تنجم عن فقدان قد حصل في الطفولة بشكل ما، وقد يشمل الحدث الصادمة فقدان أحد الوالدين بسبب الطلاق، أو الوفاة، أو عدم الحصول على رعاية جسدية ،أو عاطفية كافية عندما كان طفلاً. وينتج أكثر من صورة من الاضطرابات منها: الشعور بالخصوصية والانعزال، والقلق الزائد حيال انفصال ذاته عن شريكه، أو صعوبة البقاء بشكل حميمي وقريب من الآخرين.

وقد ظهرت هذه العلامات بوضوح في شخصية "جان فينيز" التي يستعيرها ف"فانون" يتحدث "فانون" ،فبطل القصة بالفعل قد توفي والده وهو صغير ،وتركته أمه في مدرسة داخلية وسافرت، وقد عبر عن ذلك قائلاً: " لم أغفر أبداً لأمي .فعندما تركتني ،صرت اعذب الآخر، وصار التخلي عنه هو التعبير المباشر عن حاجتي الانتقامية".

<< انظر : نايف المطاوع: التعامل مع الخوف من الهجر، موقع تهون، فبراير ٢٠٢٢،تم الدخول علي الموقع بتاريخ ٦ /٢٠٢٣/١٠.

https://tuhoon.com/blog/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%85%D9%84-%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%88%D9%81-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1/

فرانز فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٨١>>

(**) ويستشهد "فانون" في هذه الحالة بنص الرسالة التي بعثتها" أندرية" الفتاة البيضاء التي أحبها جان فينيز" ليبين لنا عمق وقسوة هذه المشاعر فهي تطلب منه آلا يتركها، فيقول: "حبيبي جان: لم أتلق رسالتك الأخيرة، إلا اليوم. إنها غير معقولة كلياً. لماذا تعذبني هكذا؟ فأنت _هل تدرك هذا حق الإدراك قاسٍ قسوةً لا يدانيها شيء، وأنت تمنحني

يشعر أنه صار مطلوباً. صارت هناك حاجة إليه. إنه الآن محبوب، ومع ذلك تظل بداخله تلك الأوهام والمخاوف: "هل حقاً تحبني؟ أتنظر إليّ موضوعياً.[١]

إن تحليلات "فانون" لظاهرة الحب بين الأسود والأبيض تشير إلى أن هناك صعوبة في تحقيق هذه العلاقة بشكل سوى[**]، ربما كانت عملية استرداد الوجود، وإثبات الذات في اللغة أيسر بكثير من الحب، وأرجع ذلك إلى الشعور الدائم بالدونية الذي يقبع في أعماق الأسود، والذي بدوره ينتج العديد من المخاوف والأوهام والتساؤلات التي تظل قائمة كحاجز يعوق علاقة الحب الأصيل بين الأسود والأبيض.

ثالثاً: الوجود الأسود ومحاولات الخنوع (محاولات تبيض العرق (Whiten the race:

"من الجانب الأكثر سواداً في نفسي عبر المنطقة الرمادية، تتصاعد هذه الرغبة في أن اغدو أبيض .

سعادة ممتزجة بالقلق أنت تجعلني في آن أسعد الموجودات وأشقاها. كم ينبغي لي أن أكرر أني أحبك أني لك، وأني في أنتظارك.تعال"

<< فرانز فانون بشرة سوداء وأقنعة بيضاء ، ص ٨٣.>>

(١) المصدر نفسه، ص ٨١-٨٣.

(**) هناك العديد من الأعمال الأدبية التي جسدت بالفعل تلك المشكلة، على سبيل المثال نذكر رواية ""موسم الهجرة إلى الشمال" للأديب السوداني: الطيب صالح. وتدور الرواية حول شخصية "مصطفى" المثقف سوداني الذي ينبغ بين أقرانه فتتبناه أسرة بريطانية ليتابع دراسته في القاهرة، ثم يتابع دراساته العليا في بريطانيا، تسكن "مصطفى" هواجس وذكريات سقوط بلاده في براثن الاستعمار، والمذلة والمهانة التي لقيها أهله وما زالوا يتجرعونها في ظل هذا المستعمر، وبجانب الدراسة الأكاديمية، يجد "مصطفى" نفسه ذاهباً إلى الغرب بدافع الرغبة في الانتقام من الغرب ذاته، وهذه المرة عبر نسائه تحديدا. فيسعي "مصطفى" لتحقيق ذاته وإثبات انتمائه لبريطانيا عبر إقامة عدة علاقات مع نساء بيض، وهي جميعها علاقات سطحية تخلو من أي عاطفة حقيقية، وانتهت جميعها بانتحار النساء وقتل البريطانية التي تزوجها، وينتهي الأمر بموت "مصطفى"، حين نزل في النهر وسلم نفسه لأمواجه، في ما يبدو أنه إشارة إلى انتحاره، حيث مثّل موته دلالة على فشله في مواجهة قدره وتحقيق التحرر الذي كان يسعى له. لقد كان مصطفي يشعر بدونيته في مقابل الأبيض الأعلى منه مكانة والأقوى والأكثر حنكة. وفي تصرفاته وسلوكه مع زوجته البريطانية ورفيقاته، كان مضطربا. كما أن سعيه الجاد للفت نظر النساء البيض بما يظهره من تعدد في المواهب وتفوق أكاديمي يعكس هشاشته الداخلية ليعوض ما يراه من نقص فيه.

<< انظر: مزنة حسناوي: كيف يشخص فانون أزمة الهوية لدى المثقف العربي في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"؟، مجلة ميدان، مقال بتاريخ: ٢٠١٩/٢/١٩.وتم الدخول على الموقع بتاريخ ٢٠٢٣/٨/٢٦

https://1a1072.azureedge.net/midan/intellect/literature/2019/2/19/%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%A5%D9%84%D9%89
%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%A7%D9%84-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%8A%D8%B4%D8%AE%D8%B5

.لا أريد أن يُعترف بي كأسود بل كأبيض"(*) (١)

عندما يفشل الإنسان الأسود في أن ينال من الأبيض الاعتراف بوجوده سواء من خلال الحب أو من خلال اللغة، يلجأ إلى محاولة أخرى مفادها : طالما لا تريدون أن تعترفوا بي كأنسان أسود، فحاولوا أن تعترفوا بي كأبيض، وقد عبر "فانون" عن هذا الأمر قائلاً:" **حين يكون هناك من يرفض الاعتراف بحقيقتي الإنسانية. أبدأ أتألم لكوني غير أبيض، على قدر ما يفرض الإنسان الأبيض تمييزاً عليّ: يستعمرني، يجردني من كل قيمة، ويقول لي إني أشوش العالم، وإن عليَّ الإسراع قدر المستطاع لمواكبة العالم الأبيض.... عندئذ سأحاول ببساطة أن أجعل نفسي أبيض. أي سأرغم الأبيض على الاعتراف بإنسانيتي.**"(٢)

ولكن كيف سيحاول الإنسان الأسود الانضمام إلى المحراب البيض؟ عن طريق ما أسماه "فانون" محاولات "تبييض العرق Whiten the race "(*)، وربما كانت المرأة السوداء الأكثر وضوحاً فقد عرفت طريقها لتكون بيضاء؛ إنه

(*) Out of the blackest part of my soul, across the zebra striping of my mind, surges this desire to be suddenly *white*. I wish to be acknowledged not as *black* but as *white*.

<< Fanon,F.: Black Skin, White Masks,P:63>>

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص ٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(*) يشترك "فانون" مع معاصره "ستيف بيكو١٩٤٦-١٩٧٧" في الحديث عن فكرة "تبييض العرق"، كان "بيكو" قد أطلق عليها أسم "عقدة البياض"، وقد أرجع هذه العقدة إلى شعورين أساسيين الأول: الاغتراب خاصة الاغتراب النفسي: أي شعور الفرد في مستعمرة أو في وسط العالم الأبيض أنه مولود ناقص، وأن كماله لن يتحقق إلا باقترابه من الإنسان الأبيض، الذي يرى أنه بغض النظر عما يفعله، فإن لون بشرته هو دائماً جواز سفره للامتياز ،وذلك سيجعله دائماً سباقاً للإنسان الأسود بأميال كثيرة ، ذلك الأمر الذي يرسخ بداخل الأسود شعور شديد بالدناءة الذاتية للدرجة التي تجعله يفرح ،بل ويفخر إذا دعاه الإنسان الأبيض لتناول كوب من الشاي معه، حيث يجعله يشعر لأول مرة بأن الأبيض يراه علي قدم المساواة، كما سيشعر كأنه أفضل من كل رفاقه السود، لأن الأبيض دعاه فقط لتناول كوب من الشاي. أما الشعور الثاني: كراهية الذات، ونتجت من فارق القوة بين الإنسان الأبيض الاستعماري والأسود من شعب المستعمرات، فامتلاك الأبيض للقوة يجعله يحتكر صياغة مفاهيم الحقيقة والكمال والجمال، مما يجعله نموذج مثالي وعلي الأسود أن يقلده.كما يتفق "بيكو" مع "فانون" أن هذه النوعية من السود يشكلون خطراً على المجتمع، لأنها بانتشارها تخلق جيلاً مشوهاً من السود، تتلاشي فيهم هويتهم وماهيتهم الحقيقية.

<<انظر: مجدي رامي: لأن الملاك أبيض، موروثات الاستعمار كمعوق للتنمية عند ستيف بيكو، ص ١٤.

Biko, S.:I Write What I Like: Selected writings. ProQuest LLC, Cambridge,2005,P: 23>>

الرجل الأبيض؛ فالأنثى الزنجية تظل تبحث عن زوج ابيض[**]، ليس ذلك فحسب بل نجد أن المرأة الهجين التي كافأها الحظ أن يكون أحد من أجدادها يحمل اللون الأبيض لا تتراجع أبداً للارتباط بالأسود، لأنها تري في ذلك انتكاسة للعرق، وتظل تحلم بذلك الرجل الأبيض، فهو لها بمثابة المخلص من لعنة اللون.[١]

أما الرجل الأسود فتظل فكرة التبييض قائمة كرغبة في اللاوعي تجد لها متنفساً في أحلامه[***]، ويرجعها "فانون" إلى أن الآخر الذي يمثله المجتمع الأبيض قد رسخ فيه عقدة اللون، بل أن ذلك المجتمع يستمد ديمومته من الحفاظ على هذه العقدة، بل يؤكد تفوق الإنسان الأبيض على الأسود وعلى قدر المتاعب والصعاب التي يمر بها الأخير ، ولم يعد في استطاعته المواجهة، بحيث تتخلل تلك الرغبة فى أحلامه.[٢]

ولكن الأمر لم يتوقف عند حد الأحلام، إذا يخبرنا "فانون" بأنه "منذ عدة سنوات شرعت مختبرات في اكتشاف مصل مُزيل للزنوجة، وقامت مختبرات من أكثر المختبرات جدية في العالم بتطهير مختبراتها وضبط موازينها، وباشرت البحوث التي ستسمح للزنوج المساكين أن يبيضوا، وبذلك لا يعودون يتحملون وزر هذه اللعنة الجسمية"[٣].

(**) يستشهد "فانون" على هذا الأمر من رواية "أنا مارتينيكية" (بالفرنسية: Je suis Martiniquaise) هي رواية تشبه سيرة ذاتية لكاتبتها لوسيت سيرانوس (١٩١٦–١٩٥٥)، تحت الاسم المستعار مايوت كابيسيا. والرواية تدور حول قصة طفولة مايوت وصغارها، بما في ذلك علاقتها مع ضابط أبيض تخلى عنها في النهاية في المارتينيك مع ابنهما. أدى نشر هذه الرواية عام ١٩٤٨ إلى جعل "سيرانوس" أول امرأة ملونة تنشر كتابًا في فرنسا. في عام ١٩٤٩، أما "فانون" فقد انتقد بشدة تعامل الرواية مع رغبة النساء السود في الرجال البيض في كتابه "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" مؤكداً أن هذا الأمر كان محاولة من صنع الاستعمار الأبيض قاصداً بها محاولة السيطرة على حرية السود والتقليل من شأنهم.

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص ١٠٤.

(***) يذكر "فانون" أنه من خلال عمله كطبيب نفسي، واجه تلك المشكلة لدي الزنوج، وذكر أمثلة لتلك الأحلام، نذكر منها على سبيل المثال: " أمشي منذ زمن طويل، وأنا مُرهق جداً، أشعر بأن شيئاً ما ينتظرني، أجتاز حواجز وجدراناً، أصل إلى قاعة خالية، وخلف الباب أسمع ضجة، أتردد قبل الدخول، أخيراً أقرر أدخل، وكان هناك بيضٌ في الغرفة الثانية، ألاحظ أنني، أنا أيضا أبيض"

<< انظر: فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء: ص١٠٥>>

(٢) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص ١٠٥

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩

إن تلك الرغبة سواء كانت بوعي أو كامنة في اللاوعي؛ فهي نتيجة لنظرة دونية خلقها الآخر، وكانت نتيجتها كراهية الإنسان الأسود للونه وذاته، وتطلعه الدائم ليكون أبيض اللون. إن الفرد في هذه الحالة ليس في حاجة لمن يثنيه عن الفكرة، ولكنه في حاجة لمن يجعله قادراً على اختيار الفعل المناسب في مواجهة تلك المؤثرات الاجتماعية. (١)

رابعاً: الوجود الأسود والرغبة الجنسية:

"عندما تلاطف يديّ تلك النهود البيضاء فإنهما تدركان المدنية والثقافة البيضاء، وتجعلهما ملكاً ليدي".(*)(٢)

من صور الماهية المسبقة التي رسمها الأبيض عن الأسود امتلاكه لقدرة جنسية مفرطة، وربما هذه المرة نجد الأسود يحاول أن يؤكد تلك النظرة معتقداً أنه وجد أمراً يمكن من خلاله أن يشعر بالتفوق على الإنسان الأبيض(٣)، ولكنه لم يكن يدرك أنه في هذا الأمر يحاول امتلاك الأخر والسيطرة عليه.

لقد نظر "سارتر" إلى " الرغبة الجنسية sexual desire"، باعتبارها "محاولة من محاولاتي الأصلية لإدراك الذاتية الحرة للغير من خلال موضوعتيه بالنسبة إليّ" (*)(٤). وتعتمد هذه المحاولة على امتلاك شعور الغير عن طريق امتلاك جسده امتلاكاً تاماً، فألانا هنا تنظر إلى جسد الآخر باعتباره الأداة التي يمكن أن تصيد بها حرية الآخر وتمتلكها، وحين تمتلك هذا الجسد تشعر وكأنها امتلكت حتماً حرية الآخر، ولتحقيق هذه الغاية تسعى الأنا إلى إقناع الآخر بأن حريته قد حلت في جسده، وأنها حبيسة في نطاق هذا الجسد، ولذلك تسعى الأنا

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٥

(*)When my restless hands caress those white breast,·they grasp white civilization and dignity and make them mine.

<< Fanon,F.: Black Skin, White Masks,P:63>>

(٢) فرانز فانون، بشرة سوداء، ص٦٩.

(٣) دافيد كوت: فرانز فانون، ص١٣

(*)"My original attempt to get hold of the Other's free subjectivity through his objectivity-for-me is sexual desire"

<<Sartre, J. P.: “Being and Nothingness",P:382.>>

(٤) جان بول سارتر :الوجود والعدم ،ص:٦١٦.

إلى استمالة هذا الجسد إليها عن طريق ما أسماه "سارتر" "الملاطفة Caress"، فكما يعبر عن الفكر باللغة يعبر عن الشهوة بالملاطفة. [١].

وإذا كان "سارتر" قد قدم وصفاً فينومينولوجياً لشعور الرغبة الجنسية، وجدنا "فانون" يقدم تحليلاً للمشاعر نفسها، ولكن من منظور "الأسود –الأبيض"، فيرى أن الزنوج أو المهجنين، ونتيجة للنبذ المهين الذي قاسو منه، ليس لديهم سوى فكرة واحدة منذ أن أصبحوا في أوروبا، وهي إشباع رغبتهم الجنسية في المرأة البيضاء مما يعد شكلاً من إشكال إشباع الهيمنة مشوباً بمشاعر الثأر والانتقام.[٢]

ولم تكن هذه الرغبة سوى رد فعل على قناعة داخل الأنسان الأبيض الذي لم يكن يريد بأي شكل من الأشكال وجود أي علاقة حميمية بين الأعراق، لقد كانت قناعته أن اختلاط الأعراق المختلفة تخفض المستوي الجسدي والعقلي، ولذلك سيكون من الأفضل تجنب التداخلات بين أعراق متباعدة جداً.[٣]

لقد وجد الإنسان الأبيض اقتراناً بين اللون الأسود والفحولة الجنسية، كما أحدث اقتراناً بين اليهودي والتفكير في المال وكل ما يتعلق به، وبالرغم من يقينه بأنها صورة غير صادقة، إلا إنه ساعد على ترويجها، وترسخت في عقل الإنسان الأبيض، وشعر أمامها بالدونية، وتضاءل أمام الأسود، وكانت نتيجة ذلك الشعور بكراهية عارمة وخوف من كل لمسه من الأنسان الأسود، بل وفي بعض الأحيان كانت تصل إلى حد الإخصاء. [٤]

---

(1)Sartre, J. P.: “Being and Nothingness",P:390.

جان بول سارتر :الوجود والعدم ، ص:٦٢٧.

(٢) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٥،١٨٨.

خامساً: الوجود الأسود بين السادية(*) والعنف:

ومـاذا بعـد كـل هـذه المحـاولات؟ سـؤال يطرحـه "فـانون":" **فـي كـل الألعـاب كنـت أخسـر، لقـد اختبـرت إرثـي، وتراثـي، أردت أن أكـون زنجيـاً نمطيـا؛ لـم يكـن ذلـك ممكنـاً. أردت أن أكـون أبـيض؛ فكـان ذلـك أجـدر بالسـخرية، وعنـدما حاولـت علـى صعيد الفكر أن أُطالب بزنوجتي كانت تُنتزع مني".**(١)

لقـد اسـتفذ الأنسـان الأسـود كافـة المحـاولات ليثبـت وجـوده أمـام الأبـيض، حتـى حـين أراد أن يسـتغل صـورة الأبـيض عنـه بتفوقـه وفحولتـه الجنسـية، قوبـل ذلـك بكراهية وعنف شديد من قبل الأبيض، فهل سيستمر الأمر على تلك الوتيرة؟

هنــا تتحــول القضــية مــن قضــية فرديــة لتــدخل فــي الإطــار الجمعــي، والأنسـان الأبـيض هنـا لـم يعـد فـرداً، بـل يتحـول ويتبـدل ويأخـذ صـورة الاسـتعمار الأبـيض الـذي اسـتحل أرض الأسـود وجـرده مـن إنسـانيته، فيكـون السـلاح الأخيـر الـذي يعرضــه فـانون هنـا هـو "العنـف"، الـذى يُعبـر عنـه "سـارتر" بقولـه " إنـه لـيس زوبعـة سـخيفة، ولا هـو تـيقظ لغرائـز وحشـية، بـل هـو ثمـرة حقـد: إنـه إنسـان يشـكل نفسه من جديد، هذه هي الحقيقة (٢).

بالفعـل فـالعنف هنـا هـو ثمـرة حقـد لعصـور ظـل فيهـا هـؤلاء السـود يُبـاعون كالأبقـار فـي الأسـواق العامــة، ينظـر إلـيهم باعتبـارهم "حيوانـات" لا تصـلح لشـيء سـوى تسـميد حقـول القصـب والقطـن، أولئـك الـذين يتعرضـون للضـرب، وحتـى للقتـل، دون أن يُخشـى علـيهم مغبـة ذلـك، لقـد صـرخ الشـاعر السـنغالي" ديفيـد ديـوب" (١٩٧٢-١٩٦٠)(*) :

(*) السادية"Sadism ": هي كلمة مشتقة من اسم عسكري وكاتب فرنسي "اسمه الماركيز دي ساد(١٧٤٠-١٨٤١) وكان خليعاً إباحياً لا تقييده أي قوانين ،واشتق من اسمه ومن كتاباته ومن سلوكه وممارساته الشخصية أسم السادية.، وهي تشير إلي انحراف جنسي يحدث فيه الإشباع عن طريق إنزال الألم أو المهانة بالشريك الجنسي ،ويستخدم المصطلح أيضاً ليشير إلي القسوة بصفة عامة .

<< جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافي: معجم علم النفس والطب النفسي، مادة: "السادية"، ج(٧)، دار النهضة العربية، القاهرة ،١٩٩٢ ص٣٣٥٢،٣٣٥٣>>

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ص١٤١،١٤٢.

(٢) جان بول سارتر :مقدمة معذبو الأرض، ص٢١.

(*) "ديفيد ديو"David Diop (١٩٧٢-١٩٦٠): أحد أكثر الشعراء الفرنسيين الشباب في غرب إفريقيا موهبة في الخمسينيات، توفي في حادث تحطم طائرة الخطوط الجوية الفرنسية الرحلة ٣٤٣ في المحيط الأطلسي قبالة داكار، السنغال، عن عمر يناهز ٣٣ عامًا، كانت قصائده عبارة عن قصائد غاضبة احتجاجاً على القيم الثقافية الأوربية،

"الرجل الأبيض قتل أبي

كان أبي رجلاً أبياً

الرجل الأسود اغتصب أمي

وكانت أمي امرأة جميلة

حنى الأبيض ظهر أخي تحت شمس الطرقات

لأن أخي كان قوياً

ثم استدار نحوي

ويداه ملطختان بالدم

بصق باحتقار على وجهي السود

وقال بصوته السَّيد:

"أنت يا ولد الماء والمنشفة".(١)

لقد رأى فانون" أنه أخفق حين أعتقد أنه يمكن تغيير الوضع من خلال توجيه النداءات إلى العقل والكرامة الإنسانية، فالعقل وحده لا يستطيع تحرير المضطهدين، وفي الوقت الذي يدرك الإنسان الأسود فيه أنه ليس بحيوان، ويدرك فيه أنه إنسان سيقوم بشحذ أسلحته ليحقق إنسانيته (٢).

يرى "فانون" أن محو "الاستعمار حادث عنيف، يستهدف تغير العالم، ولا يمكن أن يعبر عبوراً دون أن يلاحظه أحد، لأنه يتناول الوجود، يغير الوجود تغيراً أساسي، لأن أناساً كانوا في وضع المشاهد لسنوات، مسحقوين، ليس لهم ماهية، يتحولون إلى أناساً فعالين ممتازين يدخلون تيار التاريخ دخولاً رائعاً. إن محو الاستعمار يبث في الوجود إيقاعاً خاصاً، ويحمل إلى الوجود لغة خاصة

وعدد فيها أشكل معاناة السود في ظل تجارة الرقيق، وتحت هيمنة الحكم الاستعماري، حتى أنه يوصف بأنه الأكثر تطرفاً بين شعراء الزنوجة، وتأثر أيضاً بشعراء الزنوجة في هذه المرحلة أمثال "إيمي سيزير"،"سنغور"، من أهم أعماله:" ديوان القصف (Coups de pilon/Pounding)

Britannica, the Editors of Encyclopaedia. "David Diop". Encyclopedia Britannica, 5 Jul. 2023, https://www.britannica.com/biography/David-Diop. Accessed 6 October 2023.

(١) فرانز فانون: بشرة سوداء، ص١٤٦.

(٢) جان بول سارتر :مقدمة معذبو الأرض، ص٣٢،٢٩.

وإنسانية جديدة، محو الاستعمار يخلق رجالاً جدد، ولكن هذا الخلق لا يستمد مشروعيته من أية قوة فوق الطبيعة. ولكن "المستَعمَر" الذي كان شيئاً يصبح إنساناً بمقدار ما يحققه من عمل لتحرير ذاته[١]

إن العنف مثل كرة المطاط التي ما أن قَذَفْت بها للحائط سترتد إليك بالقوة نفسها[*]، ولذلك نجد "سارتر" نفسه يفسر أسباب العنف عند "فانون فيقول: "إن علامات العنف لا يستطيع لين أن يمحوها، إن العنف وحده يستطيع أن يهدمها، فالمستعمَر حين ينفجر حنقه، يسترد شفافيته المفقودة ويعرف نفسه بمقدار ما يصنع نفسه. حقيقة الأمر أن هذا العنف هو عنفنا نحن وهو يرتد إلينا. الفرق بيننا وبين الأبيض: نحن نجد إنسانياتنا سابقة على الموت واليأس، وأما هو فيجدها بعد العذاب وبعد الموت، نحن كنا نثر هواء، وأما العاصفة فهو، أنه ابن العنف يستمد منه في كل لحظة إنسانيته: لقد كنا بشر على حسابه، وهو يصبح بشر على حسابنا. يصبح إنسانا أخر أفضل[٢].

---

(١) فرانز فانون : معذبو الأرض، ص٣٩،٤٠.

(*) المتأمل لأحداث العنف التي يتعرض لها السود سواء في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية _ علي سبيل المثال _قتل الشرطة الأمريكية للأسود "لامونت سكوت" سبتمبر ٢٠١٦ في ولاية نورث كارولينا●، "جورج فلويد" مايو ٢٠٢٠ في ولاية مينيسوتا" ●● ، "ريتشارد بروكس" يونيو ٢٠٢٠ ولاية اتلانتا ●●●، وفي نفس العام في أوروبا وبالتحديد في أسبانيا قُتل " أليكا أوغوتشكو" وهو بائع نيجيري متجول لديه إعاقة جسدية ويعمل في مدينة "تشيفيتانوفا" على يد رجال الشرطة●●● ●، كل هذه الحالات كان يتبعها موجات عارمة من العنف من السود، تظاهرات وأعمال تخريبية ،التي بالرغم من رفضنا لها إلا أن هذه الأحداث تؤكد صدق رؤية "فانون"، فالعنف هنا تعبير عن الاحتجاج والرفض ، وكأن السود في تلك الحالة يريدون التعبير عن أنفسهم ويلحقون أكبر قدر من الخسائر في نفس الرجل الأبيض، والخسائر الحقيقية لا تكون مادية بقدر بكونها طريقة أو أسلوب يريد به الأسود أن يُشعر الإنسان الأبيض بالألم .(الباحثة)

<< انظر: كريم صالح: السود ينتفضون مجددا بعد مقتل رجل على يد الشرطة الأمريكية، شبكة عين الإخبارية ، ٢٠١٦/٩/٢١

https://al-ain.com/article/blacks-rising-up-again-after-the-death-of-a-man-at-the-hands-of-us-police

●● هيثم تميم –شبكة سكاي نيوز عربية_ ٨ /٣/ ٢٠٢١

/https://www.skynewsarabia.com/world/1447108 >

●●●ماريا إيليا: مقتل ريتشارد بروكس. توجيه ١١ اتهامًا للضابط جاريت رولف بينهم «القتل العمد»، جريدة المصري اليوم الإلكترونية ، ٢٠٢٠/٦/١٨

https://www.almasryalyoum.com/news/details/1989316

●●● كريسبين مواكيديو:مقتل البائع النيجيري - كيف يمكن لإيطاليا أن تكافح العنصرية ضد السود؟٢٠٢٢/٤/٩
https://p.dw.com/p/4GLuP>>

(٢) جان بول سارتر :مقدمة معذبو الأرض، ص٢٩،٣٢.

الخاتمة

والآن يمكننا حصر النتائج التي توصلنا إليها في الإجابة عن التساؤلات الرئيسة في البحث والتي طرحناها في المقدمة سعياً للإجابة عن التساؤل المحوري " **ما طبيعة العلاقة بين الوجود والماهية لدى الفلاسفة أصحاب البشرة السوداء؟**

أولاً: فيما يخص التساؤل عن ماهية الوجودية السوداء وأهم سماتها:

- الوجودية السوداء: ذلك الاتجاه الذي ظهر كرد فعل للنزعات العنصرية تجاه السود سواء في أوروبا أو في الولايات المتحدة، وكان هدفها الرئيس هو تأكيد النزعة الإنسانية والاعتراف الوجودي بالوضع أو السياق المعيشي لأصحاب البشرة السوداء، كما تناولت الأسئلة الفلسفية الخاصة بالوجود الإنساني وما يتصل به من مشكلات كالاغتراب، والقلق، والحرية، والمعاناة، والمسؤولية، والتحرر في ضوء التجربة المعيشة للسود وسط المجتمع الأبيض، وتطورت لتصبح فلسفة ثورية للمضطهدين والمستعمرين في أفريقيا والعالم.
- ظهر بشكل ملحوظ تأثر الوجودية السوداء بالفلسفة الوجودية الأوروبية من خلال التقارب الزمني والفكري والإنساني بين الفلاسفة السود من أمثال "إيمي سيزير" "فانون"، و"بيكو" مع "سارتر" و"سيمون دي بوفوار"، و"ميرلوبونتي".
- تشابهت سمات الوجودية السوداء وأهدافها مع الوجودية الأوروبية، فكلاهما يهدف إلى ما يلي:

١. **التأكيد على النزعة إنسانية جديدة:** في مقابل النزعات الإنسانية الأوربية التي تحولت إلى نزعات عنصرية، نادت بتفوق الجنس الأوروبي وانتزاع السمة الإنسانية من الأسود، والتصور المسبق أن الأسود ليس إنساناً، ولذلك سعت تلك النزعة إلى ميلاد عالم إنساني يزول منه الشعور بالاغتراب والعزلة، ويعترف بالإنسان بغض النظر عن العِرق أو المكان.

٢. **المناداة بتحرير الإنسان:** تحرير ثنائي الاتجاه، أحداهما قائم على تحرير الأسود من شعوره بالدونية والنقص، والآخر تحرير الأبيض من تصوراته المسبقة.

٣. **التطلع نحو المستقبل:** فالتغني بأمجاد الماضي لن يحقق التقدم، فالتقدم الحقيقي لن يكون إلا من خلال اعتبار الراهن وضع مؤقت يجب تجاوزه، في تطلع دائم نحو المستقبل.

٤. **تأكيد قدرة الإنسان على الخلق والإبداع:** بالخروج من العباءة الأوروبية التي ظلت مهيمنةً ومسيطرةً لقرون طوال، ومحاولة خلق الإنسان الجديد الذي عجزت أوروبا عن الوصول إليه.

٥. **فكرة التعاطف والتضامن:** بين أصحاب البشرة السوداء وغيرهم من الفئات المهمشة. والاعتراف بنضالاتهم، فكما عانى الأسود من العنصرية والإقصاء، وجب عليه أن يساند كل من يشعر بهذه المشاعر، ولذلك نجد أن الوجودية السوداء قد تضامنت مع ثورات الاستقلال والتحرر في الجزائر وسائر البلدان الأفريقية كالسنغال، ودعمت أيضا الحركات النسائية.

ثانياً: فيما يخص التساؤل عن أنطولوجيا لون البشرة في التراث الإنساني:

وجدنا من خلال كتابات "فانون" أن التراث الإنساني ساهم بشكل كبير في وضع تصورات مسبقة شوهت صورة الأسود، وساعدت في حدوث اقتران بين الإنسان صاحب البشرة السوداء، وكل ما هو سيء وشرير وناقص، وكان ذلك على مستويات متعددة منها:

١. **التراث الديني:** أوضح "فانون" من خلال مناقشتة للتراث الديني للديانات الأصلية لسكان أفريقيا، والمسيحية الكاثوليكية والإسلام كيف ساهمت التفسيرات الخاطئة في التراث الديني في اقتران الأسود بكل ما هو شر من خلال الربط بين اللون الأسود والتصورات الخاصة بالسحر الأسود، والمس، والشيطان، أو بالجحيم، وما شابه ذلك _ رغم أن هذه التصورات غير دقيقة_ إلا أنها استخدمت من قبل الثقافة الغربية لتثبيت تلك الصورة عن الأسود في الأذهان.

٢. **التراث الفلسفي:** أوضح "فانون" أن الفلسفة الغربية تضمنت بداخلها الكثير من النزعات العنصرية ضد جنس معين أو عِرق معين، بداية من اليونان، حتي ظهرت بشكل واضح في كتابات الفلاسفة المحدثين ورواد الفكر التنويري، من

أمثــال "ديفيــد هيــوم" ، هيجــل، وكيــف تضــمنت فلســفاتهم نظــرات دونيــة وتحقيريــة للجــنس الأســود وســكان القــارة الأفريقيــة بعمومهــا، وكــان يُفتــرض بمــن ينــادون بالتعقل، وقيم التحرر والمساواة عدم الوقوع في تلك النزعات العنصرية.

٣. **التــراث الاجتمــاعي والأنثروبولــوجي:** وفيــه يــذكر "فــانون" كيــف ســاهمت النظريــات التطوريــة فــي تحقيــر الأســود واعتبــاره حلقــة وســطى بــين الجــنس الإنســاني والحيــواني، واعتبــاره كائنــاً غيــر مكتمــل العقــل، وغيــر قــادر علــى المهــارات العقليــة العليــا، وبــالرغم مــن اكتشــاف خطــأ تلــك النظريــات إلا أن ذلــك أحــدث ارتباطــاً شــرطياً بــين الأســود وكــل مــا هــو بربــري وهمجــي وحيــواني، حتــى أن اللغــة التــي كانــت تســتخدم للتعبيــر عن العرق الأسود كانت تستخدم التعبيرات التي تصف الحيوانات.

٤. **التــراث الأدبــي:** استشــهد "فــانون" بالعديــد مــن الأمثلــة مــن الأعمــال الأدبيــة والروائيــة علــى مــر التــاريخ والتــي اقترنــت فيهــا صــورة الأســود إمــا بالخــادم، أو بالســفاح ،أو المغتصــب، أو حتــى بشخصــية "طــرازان وعصــابة القنــاع الأســود" كمــا فــي المجــلات المصــورة، فأصــبحت الصــورة الذهنيــة المرســخة فــي الوجــدان الجمعــي عــن الأســود مرتبط بتلك الصفات.

لقــد ســاهمت تلــك العناصــر فــي رســم ماهيــة مســبقة للإنســان الأســود، وترســخت فــي العقــول، وكونــت بحســب تعبيــر "فــانون"_ ترســانة مــن الأفكــار الخاطئــة_ فكانــت الخطــوة الأولــى لتحقيــق الأســود لوجــوده هــي تحطــيم تلــك الأفكــار والتصــورات المســبقة، ليــتمكن بعــد ذلــك مــن تأكيــد وجــوده وماهيتــه التــي يصــنعها بنفسه.

ثالثـاً: فيمـا يخـتص بمحـاولات الإنسـان الأسـود اسـترداد وجـوده _مـن خـلال كتابـات فانون_:

فــي مقابــل كافــة التصــورات التــي شــكلت ماهيــة مســبقة للوجــود الأســود، حــاول "فــانون" أن يوضــح لنــا المحــاولات التــي تقــوم بهــا الــذات الســوداء لاســترداد وجودهــا فــي صــراعها مــع الأبــيض، وظهــر فــي هــذا الجــزء مــدى التــأثر الواضــح بــين "ســارتر "و"فــانون"، بــالرغم مــن انتقــاد "فــانون" لســارتر فــي بعــض المواضــع، إلا أن

هـذا النقـد لا ينفـي ذلـك التـأثر الواضـح، فسـارت محـاولات الوجـود الأسـود لاسـترداد الوجـود عنـد "فـانون" فـي كتابـه "بشـرة سـوداء وأقنعـة بيضـاء" علـى خطـى محـاولات "سارتر" لاسترداد الوجود في "الوجود والعدم"، فجاءت على النحو التالي:

١. **الوجـود الأسـود واللغـة:** أوضـح لنـا "فـانون" دور اللغـة فـي تأكيـد الوجـود أو نفيـه مـن خـلال عقـد مقارنـة بـين اللغـة التـي كـان يسـتخدمها الأبـيض كفـرد، أو الاسـتعمار الأبـيض كوجـود جمعـي مـع الأسـود، وكيـف كانـت اللغـة الضـحلة التـي يسـتخدمها تتضـمن بـداخلها أفكـار الهيمنـة والسـيطرة، ولـذلك كانـت قـدرة الأسـود علـى الـتمكن من اللغة بمثابة سلاح انتزعه من الآخر ليثبت له وجوده، ويتم الاعتراف به.

٢. **الوجـود الأسـود والحـب:** فـي الحـب يحـاول الوجـود الأسـود أن يسـترد وجـوده، ويشـعر بذاتـه وبكونـه محبوبـاً ومرغوبـاً فيـه، وبـالرغم مـن أهميـة الحـب كمحاولـة لتأكيـد الوجـود، إلا أن "فـانون" رآه محاطـاً بعوائـق قـد تعيـق تحققـه علـى نحـو سـوى بـين الأسـود والأبـيض، مـن أهمهـا: عقـدة الدونيـة وتبخـيس الـذات، أو محـاولات الانطـواء والخـوف مـن التـرك، وهالـة الشـك والريبـة التـي تحـيط دائمـة بالعلاقـة بـين الحبيـب والمحبـوب، والتـي مـن شـأنها أن تقضـي علـى كـل إمكانيـة للحـب الحقيقـي بـين الطرفين.

٣. **الوجـود الأسـود ومحـاولات تبـيض العـرق:** فطالمـا فشـل الإنسـان الأسـود فـي تحقيـق وجـوده والاعتـراف بـه كأسـود، وهنـا سـيحاول ببسـاطة أن يجعـل نفسـه أبـيض، تـارة مـن خـلال الاقتـران بـالأبيض كمـا تفعـل المـرأة السـوداء، أو مـن خـلال تقليـد كافـة التقاليـد التـي يقـوم بهـا الأبـيض باعتبـاره رمـز التحضـر والتقـدم، أو حتـى مـن خـلال اللجوء إلى العمليات الجراحية لإزالة اللون الأسود.

٤. **الوجــود الأســود والرغبــة الجنســية:** يختلـف لجـوء الـذات إلـى الحـب لاسـترداد الوجـود وتأكيـده عـن الرغبـة الجنسـية، ففـي الحـب يعتـرف كـل مـن الطـرفين بحريـة الآخـر وكرامتـه، ولـذلك فسـعي الفـرد لأن يكـون محبوبـاً فيـه تأكيـد علـى وجـود الطرفين وتأكيد على حرية الطرفين والتي بموجبها يختار كل منهما الآخر.

أمـا فـي الرغبـة الجنسـية فيكـون سـعي الـذات فقـط إلـى امـتلاك جسـد الآخـر

فقط، أي أنها اختزلت وجود الآخر في هذا الجسد، وبالتالي تعتبر الرغبة الجنسية هي محاولة لامتلاك جسد الآخر ورغبة في السيطرة والسيادة، وذلك يفسر رغبة السود في إقامة علاقات جنسية مع المرأة البيضاء التي تمثل له الحضارة الأوربية بأسرها، وكأنه بامتلاكه لها يمتلك ويسيطر على الحضارة التي سلبت وجوده.

٥. **الوجود الأسود بين السادية والعنف:** يمثل العنف المحاولة الأخيرة التي تقوم بها الذات السوداء لاسترداد وجودها، وهنا يظهر التدرج من محاولات الذات السوداء لاسترداد وجوده الفردي (الأبيض-الأسود) إلى محاولات جماعية تظهر في الحركات الثورية للأسود (المستعمَر) ضد الأبيض(المستعمِر).

ويظهر العنف عند "فانون" كرد فعل لحالة القمع التي عانت منها الشعوب المستعمَرة بشكل عام والسوداء خاصة من الاستعمار، ولذلك يجد "فانون" نموذج الثورة الجزائرية (١٩٥٤ – ١٩٦٢)، تطوراً ينقل بالفعل أفكاره من مرحلة الدفاع عن الوجود الأسود إلي مرحلة الدفاع عن قضايا الحرية والكرامة الإنسانية بوجه عام.

وأخيراً: يمكننا الآن أن نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها في الإجابة عن السؤال الرئيس: **ما طبيعة العلاقة بين الوجود والماهية لدى الفلاسفة أصحاب البشرة السوداء**؛ فوجدنا أن: أصحاب البشرة السوداء لم ينطبق عليهم تلك الفكرة؛ فكان لون بشرتهم قد فرض عليهم شكلاً من أشكال الماهية المسبقة، ولذا كان الهدف الأساسي في دعوات الفلاسفة السود هي الكيفية التي يمكن من خلالها تحطيم تلك الماهية المسبقة ليمتلك الإنسان حريته ويكون له الحق في تقرير مصيره.

توصيات الدراسة:

انتهت الباحثة إلى ما يلي من توصيات:

١. تفعيل المصطلح الهام الذي كشفت عنه الدراسة وهو" الوجودية المعيشة Living Existentialism"[*]، التي تحرص على سبر غور المشكلات الإنسانية في كل زمان ومكان، على أن يتم ذلك من خلال رؤى العالم أكثر عدلاً وإنسانية.

٢. الوعي بخطورة فكرة الماهية المسبقة الموروثة عن فئة أو طبقة أو جنس معين، ولا سيما أصحاب البشرة الملونة، وخطورة فكرة لعنة اللون لما تتركه من أثر تدميري في نفوس الأغيار، وتحرم أبناء المجتمع الواحد من الشعور بالأمن والاستقرار، كما تسلب الإنسان حقه الطبيعي في شعوره بإنسانيته.

٣. السعي المتواصل الدؤوب إلى تحقيق نزعة إنسانية ذات طابع عالمى، لا تقف فيه الاختلافات بين بني البشر عائقاً في التواصل الإنساني، علماً بأن النزعة الإنسانية الحقيقية تقوم على فكرتي التقدير والتكامل، أي أن كانت من أمر هذه الاختلافات، تحقيقاً للإرادة الإلهية التي شاءت أن يكون البشر مختلفين، دون أن ينال هذا الاختلاف من روح العدالة بينهم.

(*)Jean-Paul Sartre: Exalting Black Thought and Living Existentialism
https://blog.apaonline.org/2021/07/20/jean-paul-sartre-exalting-black-thought-and-living-existentialism/

المصــادر والمــراجـــع

أولاً: المصادر الأجنبية:

أ. المصادر الأجنبية الخاصة بفانون:

1. **Fanon,F.:** Black Skin, White Masks, Trans.by : Markmann,c.l., Pluto Press, First published, London,1986.

ب. المصادر الأجنبية العامة:

2. **Andrés de Claramonte**: The Valiant Black Man in Flanders, ,trans.by: Nelson López, Liverpool University Press, First published 2023.
3. **Biko, S**.: I Write what I Like: Selected Writings. ProQuest LLC, Cambridge, 2005.
4. **Burns, A.**: Colour Prejudice, with Particular reference to the relationship between Whites and Negroes. G. Allen & Unwin, London,1948
5. **MARX, K.:** The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte. Trans.by: Samuel Moore, Bradford& DicKens, London, W.C.I, Third Edition,1943
6. **Sartre,J.P.**: “Being and Nothingness” Trans.by : H.E.Barnes ,philosophical library , London, New York, 1957
7. **___________**: Black Orpheus; trans. by :S.W. Allen, Presence africaine,1978.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

8. ASHER, K.: "Was David Hume a Racist? Interpreting Hume's Enfamous Footnote (Part I).Economic Affairs, (vol.42.2), 2022.
9. Bassey, M. O.: What is Africana critical theory or black existential philosophy?, Journal of Black Studies, 37(6), 2007.
10. Cole, Catherine M. "When Is African Theatre ‘Black’?" Black cultural traffic: Crossroads in global performance and popular culture (2005):
11. Duffy, B. K., & Besel, R. D.:Martin Luther King Jr.'s “I Have a Dream” and the politics of cultural memory: An apostil. ANQ: A Quarterly Journal of Short Articles, Notes, and Reviews, 23(3), 2010
12. Gordon, L. R.: Existence in Black: An anthology of Black

Existential Philosophy. New York, NY: Routledge,1997.

13. _____________: Africana insight, The Philosophers' Magazine, (47) ,2009
14. ___________: Black existence in philosophy of Culture.Diogens, 59(3-4), 2012
15. Haile III, J. B.: Black existential philosophy: Truth in virtue of self-discovery (Doctoral dissertation, Duquesne University, 2014.
16. Jefferson,F. :Toward Resolution of the Race Problem from a Christian Theological Perspective: A Critical Analysis and Constructive Interpretation of the Thought of Frantz Fanon, Eldridge Cleaver, and Martin Luther King , Jr., The University of Chicago, 1973.
17. Lee, Christopher J. Frantz Fanon: Toward a revolutionary humanism. Ohio University Press, 2015.
18. Mayers, R.: God's Dealings with the Negro, The Gorham press,Boston,U.S.A,1919.
19. Mick, C.: "Existential Therapies",GBR : sage publication , London ,2003.
20. Moore, E. R.: Being Black: Existentialism in the Work of Richard Wright, Ralph Ellison, and James Baldwin. The University of Texas at Austin, 2001.
21. Pithouse, R.: "‘That the tool never possess the man’: taking Fanon's humanism seriously." Politikon 30.1 ,2003.
22. Peterson, C. F.: Introductions and Histories: How, When, and Where of Race in Philosophy. Philosophy Compass, 11(2), 2016,
23. Popkin, R H. "The philosophical basis of eighteenth-century racism." Studies in Eighteenth-Century Culture 3.1 ,1974.
24. Settler, F.: Frantz Fanon’s ambivalence towards religion. Journal for the Study of Religion, vol.25(2), (2012).
25. Vereen, Linwood G., et al. "Black existentialism: Extending the discourse on meaning and existence." The Journal of Humanistic Counseling, Vol.56.1 ,2017.

ثالثاً:موسوعات وقواميس فلسفية

26. Protevi,J.: The Edinburgh Dictionary of Continental Philosophy, Art." Fanon ", Edinburgh University Press,2005

رابعاً: المصادر المترجمة إلى العربية:

ا. المصادر العربية المترجمة الخاصة فانون:

٢٧. فرانز فانون: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، الطبعة الأولى، بيروت،٢٠٠٤.

٢٨. ______: معذبو الأرض ترجمة: سامي الدروبين، مدارات للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة،٢٠١٥.

ب. المصادر العربية المترجمة العامة:

٢٩. جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحفني، ط١، القاهرة، ١٩٦٤.

٣٠. _____: الوجود والعدم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٦٦.

٣١. _____: المومس الفاضلة، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة،٢٠١٣.

٣٢. رالف إليسون: الرجل اللامرئي، ترجمة: أسامة منزلجي، دار المدى، الطبعة الأولى،بيروت،٢٠٢١

٣٣. كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفي صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق،١٩٧٧.

٣٤. هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) : ترجمة :إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثالثة،بيروت،٢٠٠٧.

خامساً: المراجع العربية:

٣٥. أحمد عبد الحليم عطية: "هيجل والفلسفة الأفريقية."، مجلة: أوراق فلسفية، عدد (٩٣،٩٤)، ٢٠٢٢.

٣٦. حبيب الشاروني: فلسفة جان بول سارتر، دار المعارف، الإسكندرية. د.ت.

٣٧. دافيد كوت: فرانز فانون، ترجمة: عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي: بيروت،١٩٧١.
٣٨. رجا بهلول: خطاب الكرامة وحقوق الإنسان، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٧.
٣٩. ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلي سارتر ، ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،١٩٨٠.
٤٠. طه حسين: ألوان، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، المملكة المتحدة،٢٠١٣.
٤١. فؤاد كامل : الغير في فلسفة سارتر ،، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
٤٢. مجدي رامي: لأن الملاك أبيض، موروثات الاستعمار كمعوق للتنمية عند ستيف بيكو، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، اكتوبر٢٠١٨
٤٣. محمد حامد ذكي همام: فلسفة الأخلاق الأفريقية، مجلة كلية الآداب، جامعة الوادي الجديد، المجلد ٨، عدد أبريل ٢٠٢٢.
٤٤. محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر،٢٠٠٧.
٤٥. موايسي سعيد: فرانز فانون بين تغييب الإسلام والتّضامن مع اليهود، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة ٢ عبد الحميد مهري، العدد رقم (٢)، المجلد رقم (٨)، يونيو ٢٠٢٢.
٤٦. مونيس بخضرة، هيجل وأفريقيا في نقد ضحالة الوعي الاستعماري، مجلة الاستغراب، صيف ،٢٠١٨.
٤٧. نازلي إسماعيل حسين: الشعب والتاريخ (هيجل)،دار المعارف ،القاهرة، ١٩٧٦.
٤٨. هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة، الطبعة الثالثة، القاهرة،١٩٥٩.
٤٩. يوسف روكز: أفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٨٦.

سادساً: الموسوعات والمعاجم الفلسفية العربية:

٥٠. جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافي: معجم علم النفس والطب النفسي،ج(٧)، دار النهضة العربية ،القاهرة، ١٩٩٢.

٥١. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج(٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢

٥٢. عبد المنعم الحفني: المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، الطبعة الأولي، القاهرة،١٩٩٠.

٥٣. مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء للطبع والنشر، الطبعة الخامسة، القاهرة،٢٠٠٧.

٥٤. معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، معهد النماء العربي، بيروت،١٩٨٨.

٥٥. ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، ترجمة: أمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٠.

سابعا: المواقع الإلكترونية:

٥٦. هيثم تميم –شبكة سكاي نيوز عربية_ ٨ مارس ٢٠٢١<<https://www.skynewsarabia.com/world/

٥٧. اليوم السابع : ١يوليو ٢٠٢٣.. <<https://www.youm7.com/story/2023/7/1

58. Peterson, Charles. "Frantz Fanon". Encyclopedia Britannica, 22 Aug. 2023, https://www.britannica.com/biography/Frantz-Fanon. Accessed 29 August 2023.

59. https://davidhume.org/texts/empl1/nc.

60. https://www.un.org/ar/observances/end-racism-day

61. https://www.ida2at.com/african-philosophy-defending-identity-confronting-colonial-imagination